مهر الدم

المعارك والمقاومة الوطنية

السودانية منذ ١٨٨١

١٩٦٣

مهــــر الدم

المعارك والمقاومة الوطنية

منذ عام ١٨٨١

بقلم

صلاح محى الدين

الإهداء

« إلى الأصلاء ..

« على تربة هذا الوطن ..

« أولئك الذين تُفَجّرُ في قلوبهم ..

« أمجادنا وآمالنا - كل تلك الأحاسيس

« التي لا يستشعرُها الآخرون .

يا قائد جحافل هذه الأمّة

هذا العمل:

استقراء حقائق التاريخ، على أرضنا بلا زيف وتلمس الانبعاثات الخالدة من ثنايا المعارك، على مر سني المقاومة الوطنية وتنوع أساليبها: من الحرب الشاملة إلى الملاحم الفدائية، إلى المظاهرات المسلحة، إلى العصيان والتمرد، إلى الاضراب والتظاهر، ومواكب الثائرين (عبر أجيالنا) ..

هذا العمل:

إنما هو بعض ذكراكم: الحية الخالدة: ملحمة البواسل من أجيالنا على مر مراحل المقاومة الوطنية، وملحمة أقدس المشاعر وأنبلها ما بقي تاريخ لهذه الأمّة يذكر .. »

شكر وتقدير

عرضت هذا الكتاب (مخطوطاً) على البروفسير مكى شبيكه ، استاذ التاريخ ، ورئيس شعبته بجامعة الخرطوم .

فأولاه الدكتور مكى من وقته وجهده ، أعظم العناية وأحدبها . ثم ابدى ـ فى أناة ـ ملاحظات تاريخية دقيقة وعميقة مكنتنى كثيراً من الضبط (تاريخياً) الوقائع .

ولقد شاء سوء الحظ وحده أولا ، ومراعاة مشاغل بداية العام الدراسى ثانياً ، الا تتصدر هذا العمل تلك الكلمة التعريفية الرائعة ، التى كان الدكتور قد استجاب لنا . فحبا بها هذا الكتاب .

وانى اذ أعبر عن أصدق التقدير لدكتور مكى ، أذكر أيضاً ان مؤلفاته كانت لى ـ منذ البداية ـ نعم المعين ، فللأستاذ الدكتور أعمق الشكر وعرفان الجميل .

وأما ذلك النفر من كرام المواطنين والزملاء ، الذين عبروا بوسائل مختلفة عن تشجيعهم لهذا الكتاب اشعر بأن التجرد ، وابتغاء وجه الاصالة السودانية ، والتفافنا حول أمانة الآباء والأجداد ـ فى حرص وعزم ـ كانت هدفنا العظيم المشترك ، الذى كان عليه لقاؤنا ، والذى عليه أيضاً تتساوى مسؤولياتنا ـ ولذا فانى أقول لهم جميعاً : ـ (انى معتز بكم) . .

المقدمة

الباحثون عن ارض لاقدامهم

كان يوما قائظا والقاعة العريضة تعكس ضيق الناس بالحر من حولهم ، ولكن فجأة يهب أحد الصغار الذين كانوا امامهم على مدارجهم فى نفس القاعة « قاعة المعاينات فى معهد بخت الرضا » ويرفع الصغير صوته متوجها بكل براءته ونفسه للاستاذ أمامه « يا استاذ ولكن نحن ماعندنا واحد بطل ذى رولاند هذا ؟ » وفجأة يغشى الكبار الجالسين على المدارج على الخلف كمشاهدين للدرس ــ يغشاهم صمت عميق ، تماما كالاستاذ الذى وقف مبهوتا (كالخجل) أمام تلميذه الصغير .

أنها قصة فى مخيلتى ووجدانى لانها حدثت فى معهد التربية الذى يضع البرامج بما فيها (التاريخ) لأجيال الصغار الناشئين فى السودان . لماذا وقف التلميذ الصغير مغيظا محنقا يسأل ؟ ولماذا بهت الجالسون المشاهدون الكبار وغشاهم صمت مفكر مهيب ؟ لقد كانت حصة (تاريخ) وكانت عن درس « رولاند » نافخ القرن ذلك البطل الاسبانى الذى يقول عنه درس التاريخ انه بطل وبطولته هى أنه طرد العرب بحضارتهم ودينهم من بلاد أسبانيا ... ؟

ودرس آخر عن البطوله فى نفس هذا المنهج عن (هولاكو) وهو بطل فى نظر الدرس ــ أما لماذا هو بطل ؟ فلانه دمر (بغداد) دار النهى والحكمة والفن ، والقى بتاريخ العرب وحضارات الشعوب على نهر الفرات بعد أن حطم كل شىء .

والتلميذ الصغير فى طور من عمره يعرف فنيا (بمرحلة البطولة الاولى) ينفتق فيها ذهنه الصغير ، وينفعل قلبه بالاحاسيس والاعمال التى تبدو خارقة وتبقى هذه الايحاءات هى أبقى مايدخره وعيه من ذخيرة الاحاسيس فى كل اطوار حياته ومن هنا يحرص

(التربويون) فى كل الدنيا على أن يرضوا هــذه المرحلة البطوليه فى طور نمو الطفــل بأخبــار وقصص بطوليه (ولكن) يجب ان يلاحظ خطورة مفهــوم (البطولة) فالبطولة الخيرة ، والبطــولة الانسانية هى وحدها التى يتقمصها المنهج المدرسى (وفى التاريخ بالذات) البطولة التاريخية المستمدة من التراث الوطنى البطــولى من اجل غرس العزة والمثل الاعلا فى نفس الاجيال الناشــئة ، حتى تتكون القاعــدة فى معــرفة الوطن وعزته على أســس تاريخيــة وتضمن لهم الا يضربوا فى التيه اذا نشأوا وهم خلو فى نفسياتهم عن الانفعــالات ببطولات أمتهم •

امــا لماذا كان صغيرنا ذاك (مغيظاً محنقاً) فلان الواقع الآن فى برامج التعليم فى السودان هو غير هذا الذى قلنا عنه ــ الواقع هــو أنه يحدثونه عن أبطال اوربا ، الذين هم ابطال (فقط) من وجهة نظر أوربا أما من وجهة نظر الحقيقة ، ومن وجهة نظرنا نحن السودانيون : الافريقيون : العرب ، فأغلبهم (مدمرون برابره) كهولاكو ــ ومتشعوذون متعصبون (كرولاند) وليس هــذا هو المهم ، انما الاهم أن هذا الصغير كانت نفسه البريئة أثناءانفعالاتها بما يقال له من قصص عن بطولات تاريخية لابطال (غرباء) عنه فى كل شيء تمنى بعقله الباطن أن تكون (لنا نحن ايضا بطولات مثل هؤلاء) ودون أن يقصد عكس هذا فى سؤال مغيظ لاستاذه وهو يخشى الا يكون لنــا نحن (أصــلا) بطــولات مثل هــؤلاء الاجانب الاوربين ؟

والأستاذ نفســه والكبار الجالسون حوله كانت أيضا لهــم أمــانى ليسوا متأكدين من واقعيتها (هــل لنا نحن ابطال ؟) اذن لماذا نبدأ بطولات دراسات التاريخ ــ ببطولات افرنجيه عن وليم تيل ، ورولاند ، وهولاكو ثم شارلمــان ، ورتشارد قلب الاســد وغيرهم وغيرهم ، وعندما نبدأ فى نهاية الامر بمحاولة التحدث عن تاريخ الســودان نجــد مستر (هيوود الانجليزى) مؤلف تاريخ الســودان يتحــدث عن (الدراويش) فى قصص أقــرب الى

(الدروشه) عن أن تكون بطولات .

فهل هـذا هو الواقع بالنسبة لتاريخنا ؟

عندما تكون الحرب (دينية) مسيحية ، يلبس فيها رتشارد (قلب الأسد) واتباعه قمصان تعبر عن ازيائهم فى ذلك العصر ويحملون امامهم (الصليب) كرمز لهم يكون هؤلاء (أبطال .. أبطال .. تمام) وعندما يلبس (محمد احمد المهدى) ورجاله قمصان سودانية توحى (القطع) التى عليها بروح الزهد ويحمل أمامه رايات قادته فهو عندئذ (درويش) مضحك . عندما يقاتل رجال رتشارد ضدالعرب فى سبيل أوربا حرباً دينيه فهم أبطال ، وعندما يقاتل السودانيون تحت قيادة المهدى ضد الاجانب غزاة بلدهم فهم (دراويش)

دراويش لماذا ؟ ؟ لانهم لم يهنوا ولم يستسلموا للغـزاة أنما قاتلوا وقاتلوا وبيأس وبشدة ويحرص على الموت اكثر من الحياة ودراويش لماذا ؟ ؟ لأنهم اتخذوا الزهد والتبسط فى المظهر أبسط دلائل العزم على الاهداف العظمى فلبسوا ابسط ما يلبسه انسان وتقشفوا واخذوا أنفسهم بالغلظة تفرغا للأعمال الكبرى للدفاع حتى الموت .

دراويش لماذا ؟ ؟ لأنهم يرون أمامهم المدفع يرسل الحمم فيقتحمونه يسدون فوهته بأجسادهم فيسقطون صفا بعد صف حتى يتمكن صف من الصفوف من الوصول الى المختفين وراء المدافع والبنادق فيلتحمون معهم فى القتال الوحيد الذى يعرفونه قتال الرجل للرجل ، دون غدر أو تمويه (رجل لرجل) دون وسيله تغنى الانسان عن صفات البطوله والشرف التى يقدسونها .

دراويش لماذا ؟؟ لأنهم استهونوا الموت فى سبيل المبدأ الذى خفقت له جوانح القلوب ، وامتلأت به الانفس تحت قيادة زعيم مـلأ عليهم أوطار قلوبهم ، صابرا مثابرا ، متقشفا ، مقاتلا ، مصمما ، ماضيا فى طريقه دون أن تأخـذه أدنى خلجة من عدو من الاعداء ، أو حتى من دولة من الامم .

دراويش لماذا ؟ ؟ لأنهم ليسوا بخواجات حتى يكون اندفاعهم ايمان وقتالهم نضال وسلوك الشرف الذى عرفوا به فضيله فهم سمر من قلب افريقيا ، استمدوا من ارضهم جلدها وتصميمها وهم عرب مسلمون استمدوا من العرب قوتهم ومن الاسلام الايمان وتراث حضارة متكاملة فمضوا الى الامام لا يهنون

دراويش لماذا ؟ ؟ لأنهم عبروا عن ثورتهم ومبادئهم بنفس الاسلوب الذى عبرت به كل الثورات عن نفسها فى (عصرهم ذاك) فى كل محل كانت فيه ثورة أو ثوار فى كل أرجاء الدنيا ، كان (الدين) هو السمة (العظمى) لكل ثورة فى ذاك العصر وكانت شخصية القائد وتدينه هى أيضا من سمات تحركات الشعوب فى ذلك العصر فلماذا اذن تكون تحركات أولئك وثوراتهم هى البطولات الباقيه ، مفخرة لاجيالهم من بعدهم ، وتكون ثورة السودان عند مستر (هيوود) كاتب التاريخ لابناء السودان (حركة دراويش) ؟ ! !

ربما يكون مستر (هيوود) منطقيا مع نفسه لان الدراويش هم الذين اوقفوا أمته كلها ، برلمانها وصحافتها ثم امبراطوريتها وملكتها عندما اتجهوا يقلوبهم ذات يوم فى عام ١٨٨٥ الى بطلهم العجيب (غردون) المحاصر فى قلب افريقيا فى (الخرطوم) ولكن فشلت كل أمتهم وكل امبراطوريتهم فى أن تنقذ بطلهم (الغريب) عن مصيره تحت اقدام ابناء الامة السودانية الثائرين ، وتحركت كل الامبراطوريه لتثأر من الذين مرغوا الامبراطورية فى التراب فى عصر كانت الشعوب تهتز فيه عندما تتحرك جيوش الامبراطورية قانصة أو غازية .

وبعد فمهما كانت الأسماء ، ومهما كانت الصياغة التى كتبت بها مناهج التاريخ فى مدارس السودان ، فأن اعداء تاريخ السودان الوطنى (الانجليز) هم واضعو هذه البرامج وبالأسف فقد جلا الانجليز عن ثرى وطننا ولكن بقيت أسماؤهم ومناهجهم هى المسئولة أيضا عن (تربيتنا) وعلينا أن ننظر لأنفسنا ولأمتنا

من (وجهة نظرهم هم) وهــذا يســمى (تاريخ) أو هكذا يعلم للناشئة من فتية السودان •

أن الصغــير الذى نهض مغيظا محنقا يسأل عن الابطــال فى أمته انما هو مثال وحيد للآلاف من أبناء وطــنه هؤلاء الحــيارى الباحثين عن أنفسهم فى تاريخ حقيقى عن مســيرة الحيــاة على مر الســنين على ثرى وطنهم ــ أليس لهم رجــال كالآخرين ؟ أذن آين رجالهــم ؟

أليســت لهــم معارك كالآخرين ؟ اذن أين معاركهم ــ فالى الباحثــين عن أرض يضعون عليها أقدامهــم من فتية امتنا تحفزا لقفزة أصيلة الى الامام ، تقلب الان صفحــات حقيقيه من تاريخنا الحقيقى على مر الايام •

الراية الاجنبية ترفرف على عاصمة وطننا لاول مرة

دم من افريقيا ، ودم من العرب ، تراث القارة البكر الخالدة ، وتراث العرب التليد ، ثم هداية الله وتعاليم نبى الاسلام ، اختلطت جميعا ليكون تتاجها الانسان السودانى •

أسمر فى قلب افريقيا مجـد الكرم ، مجـد الشجاعة ، مجد الشرف أحب الاتقياء العلماء ، لم تدنسه قرصنة الامبراطوريات فى القرن التاسـع عشر عندما انتقلت الحضارة الى أوربا بعد العهـد الصـناعى ، فأتخمتها فانطلقت أوربا مسـعورة تتسابق دولها الى الغنائم فى شكل الدول الآسـيوية أولا تحتكر كل دولة أى شعب تستطيع احتكاره : الهند مثلا بشعبها الزائد عن (الثلثمائة (١) مليونا) والصين بشعبها الزائد عن (الخمسمائة (٢) مليونا) كلها كل آسـيا صارت لقمة سائغة للوحش الاوربى المتخم والجائع فى آن واحـد •

ولكن تحركات ذلك القرن العجيـبة وعلاقات دوله البربرية تبـدأ الهبوب على أرض سودانا •• عن طريق الجارة الصديقة (مصر)

فى عام ١٥١٧ تمكن الاتراك من قهـر مصر واسـتولوا على حكمها ولم يستطع الاتراك بعد ذلك الاحتفاظ باستعمارهم لمصر ، لأن تركيا نفسها ضعفت فزاحمتها الدول الاوربية واستولت منها على (مصر) ثم خرج الفرنساويون الذين دخلوا مصر واستعمروها فعمت الفوضى هذه الدولة الصديقة •

ولكن أحد رجال (الاتراك) وهو محمد على اسـتطاع أن يتغلب على جميـع الطامعين فى حكم (مصر) واستقل هو وأسرته

---

(١) الهند الآن ٤٥٠ مليوناً
(٢) الصين الآن ٧٠٠ مليوناً

بهذا (القطر) وجعلوه مملكة خاصة بهم .

واخيراً سول طمع هـذا الحاكم التركى له أن يوسع مملكته المصرية فيضم معها السودان حتى يستفيد بأمواله وبأهله فى تدعيم ملكه . فجمع جيشا ضخما من الاتراك ، والشراكسة ، والبلقانيين والأرناؤوط ، والمصريين بقيادة ابنه (اسماعيل) وسلحهم بالمدافع والبنادق والمسـدسات ليقاتلوا السودانيين الذين كانوا فى ذلك الوقت لم يعرفوا من السـلاح الا حرابهم وسـيوفهم ، واستطاع جيش هذا الحاكم التركى فى عام ١٨٢١ ان يتغلب على السودانيين حتى حكم كل الاراضى السـودانيـة . وفى قلب السـودان فى عاصمته الخرطوم بناوا مقر حكومتهم ورفعوا عليه رايتهم أول راية أجنبية ترفرف على سماء الخرطوم .

فماذا فعل شعبنا فى السودان ؟ لقد بدأوا يتجمعون بعد أن كانوا قبائل متفرقة ، بعد ان أحسوا بأن الحـكم التركى الأجنبى انما هو يذلهم جميعا يسلب أموالهم ، يمتص خـيراتهم لا يراعى شرفا ، ولا يحترم عهداً ، فسق فى بلاد لم تعرف الفسـق ، وجور فى شـعب تعلم على المروءة والعزة فبدأ البركان يغلى والحـكام الاتراك سادرين فى غيهم وطغيانهم .

وتفجر البركان ضخما فى جزيرة صغيرة على (النيل الابيض) على يدى رجل ولد ونشأ فى جزيرة اخرى صغيرة فى شمال قطرنا .

ومنذ تلك اللحظة بدأ السودانيون يتجمعون ويتجمعون ، وحدة واحدة ، أمة متكاملة تحت قيادة الزعيم الوطنى الذى وعى آلامهم وعرف آمالهم فأنطلق الى الامام يقودهم فى قوة وعزم قل من تحلوا بها من الرجال على مر الزمان

فمن هو الزعيم ؟ وكيف سار يقود أمته فى طريق كفاحه ؟

الزعيم البطل

من هو الزعيم ؟

أليس هو ذلك الرجل الذى تتجسد فيه أمته فى فترة زعامته آلامها كلها وآمالها كلها متجسدة فيه ، فيكون هو نفسه رمزها الخالد العريق لكل ماتريد فتلتف حوله القلوب فى ايمان لا يعرف اليأس واندفاع لا تعوقه العوائق ؟

اذن فهكذا كان « محمد احمد المهدى » للامة السودانية بكل هذا بل بأكثر من هذا كل حياته والى أن توفاه ربه ..

وجدهم شيعاً وقبائلا فى الشمال والغرب والشرق والجنوب وعندما تركهم كانوا أمة ، كاكمل ما تكون أمة فى عصرهم ،امة منتصرة حققت كل آمالها بحد السيف . رجال عاهدوا الله وزعيمهم فصدقوا ما عاهدوا الله والزعيم عليه ، لم يتقهقروا ولم ييأسوا بل وهبوا كل شيء من اجل المثل الاعلا وأهدافهم الكبرى فصهرتهم المعارك الهائلة فربطت بين قلوبهم بالحب والاخاء والوفاء فكانوا أمة قويه عزيزة . هكذا أستطاع الرجل ان يفعل بشعبه فى أقل من أربع سنين فهل هنالك فى العصور الحديثه فى أية أمة من أستطاع ان يفعل هذا ؟

هذاهو اذن الزعيم ..

ومن هو البطل ؟

أليس هو ذلك الرجل الذى يأتى بالاعجاز ، أعمال خارقة رائعة .. اذن فببضعة رجال يتسلحون بالعصى وبعض السيوف أعلن « محمد احمد » المهدى الزعيم السودانى ثورته على حكومة التركيه فى جزيرة صغيره مقفله،فواجه مدافعهم وبنادقهم وبواخرهم

واساليبهم الاحدث فى القتـــال ، فدك فى طريقه كل هـــذا ومضى بالسيف وبالعصا يقاتل معركة بعـــد معركه فى مختلف مناطق وطنه حتى أستطاع بعـــد ثلاث سنوات فقط ان يجعـــل الحكومة هى المحاصرة المقفلة ، تحت رحمة الذين حسبتهم غوغاء دراويش .

وامهلهم من رحمتـــه وخلقه وهـــو قادر على تدمـــيرهم فى حصارهم ، ولكنهم اســـتكبروا وأخذتهم العزة الكاذبه بالاثم ، فمضى الرجل كأقوى ما يكون الرجال يدك الحصـــون ويقـــذف الموانع ويرفع الى أعلا عزة وطنه ثأراً للأرض التى دنست وللوطن الذى أهين .

وفى قرن الامبراطوريات فى كل مكان فى العـــالم . فى عصر قهر الشعوب حتى تلك التى تعد بمئات الملايين انتصرت فى قلب افريقيا فى السودان ثورة مسلحة يقودها وطنى من صلب شعبه تلتف حوله الألوف من أبناء أمته ، وانتصرت الامة ورفعت راياتها كريمة معززة

فهل من بطل اكثر من هـــذا ؟ هـــل فى العصور الحديثه فى التاريخ اخرق للعادة أكثر من زعيمنا هذا البطل .

ولكن كيف بدأت هذه الثورة وكيف مضت المعـــارك حتى تحقـــق النصر الكبـــير ؟؟

رجل من السودان

كفاح ضد اليأس والجهل ، شهدت مولده جزيرة لبب الصغيرة في شمال السودان .

تكامل خارق لشخصية الانسان شهدت قمته جزيرة آبا الصغيرة في وسط السودان .

قائد حربي وروحي اعلا ، يقود أكثر من مائة الف رجل تعززه انتصارات مستمرة يدق أبواب عاصمة السودان .

ذلك هو الرجل من السودان .

القائد الزعيم الذى من ورائه اتنظمت صفوف شعبنا كما لم يحدث الا نادرا فى تاريخ الامم كلهم جنود . كلهم مقاتله . كلهم فى الصفوف الاولى ، من شمال الوطن ، من شرقه ، من جنوبه من غربه ، بكل لهجات السودان بكل سحنات السودان جيش واحد وأمة واحده وراء رجلها الى المعالى مهما كان الثمن ومهما كان العدو ..

فهل كانت تعرف ذلك كله تلك الليلة من لياليك « يالبب » يا بنت النيل الصغيرة على احضان « دنقلا » ؟

وذلك المنزل من منازل أهلك ، وذلك الرجل من اهلك « عبد الله » هل كان يدرى أى جوهرة تلك التى حلت فى منزله ذلك المساء الباهر ذات يوم من عام ١٨٤٣

وترعرع صغيرك « يا لبب » يا بنت النيل الراقده على احضان (دنقلا) وانتقل الصغير مع الوالد « عبد الله » وأبنائه الاربعة الى شندى ثم الى كررى (قرب امدرمان) وهناك توفى الوالد « عبد الله » الى رحمة مولاه وواجه الابناء الاربعة الحياة يعملون من أجل انفسهم ومن اجل اسرتهم ولكنهم لاحظوا فى صغيرهم « محمد احمد » شغفه الشديد بالقراءة والعلم فعزموا على ان يمكنوا هذا الفتى الباهر الملامح من المضى فى طريق

العلم فأدخلوه الخلوه حيث بـدأ يحفظ كـلام الله وبدأ يتسرب القرآن الكريم الى نفسه الظامئة المشوقة للعلم ، فمضى فى الطريق بعزم ، ترك خلوة القرية الى خلوة أخرى أكبر فى الخرطوم ثم الى ثالثه أعظم فى الجزيره وتمكن من حفـظ القرآن وبدأ دراسـة العلوم الفقهية ــ ولكن هذا البحر الجديد من بحور العلم يحتاج ايضا الى أساتذة يجيدونه • فسمع عن خلاوى الغبش الشهـيره ببربر « وبالشيخ محمد الخير » فأنتقل بمساعدة اخوانه الاشقاء الثلاثه الى بربر الى « الشيخ محمد الخير » وهناك توسع الفتى فى دراساته تبحـر فى الفقه ودرس علوم النحو ، والتوحيد وعرف التصوف، وتعمقه فوجد فى دخيلة نفسه كل الميل له ــ فحينما كان الدرس والمناقشـة تستمر نهاراً فى تلك المدارس للدين التى كانت تؤمها ألوف السودانيين الطالبين للمعرفة حينما كان النهار كله تهدر به أصوات آلاف الطلاب مرتلين ، وقارئين ، ومتحدثين ، وخطباء ، ومتساجلين ، كان (محمد احمد) عندما يأتى الليـل ينتقل بنفسه وبروحه من هذا الجو الجماعى الرائع للمعرفة ينتقل بنفسه وبروحه فى خلـوة ووحـدة كامـلة الى التعـمق فى عبـادته وتصـوفه وتأمله حتى لاحظ ذلك كله شيخه وزملاؤه ، لاحظوا مسحة من السماحة والهدوء تتجدد كل صباح فتكسو محـيا زميلهم طيـبة وسـكينة ولاحظوا انه كان يميـل احيانا الى ترك حلقات الدرس فيجرب الحياة العاملة مـع الناس العاملين ، يقطـع الحطب ويبيعه فى السوق ، ويذهب الى النهر يصطاد السـمك ليهب منه ما يهب ويبيع منه ما يبيع وأخذ يعتمد من جهد يده وحده على معيشته بين زملائه الطلاب ، لاحظوا هذا كله ولاحظوا كيف استطاع الشاب أن يطوع عصا المعرفة حتى وأن (الشيخ محمد الخير) كان يعتبره استاذا بعده بعد أن جاءه مجرد طالب معرفة لكل هذا تمت مكانة خاصة لشخصية (محمد احمد) بين زملائه وشيخه ، وأهل البلد عامة مكانة جعلتهم أعرف الناس به فى المستقبل •

وبعد هذا قرر الشاب (محمد احمد) بعد أن تعمق الوحدة

والتأمل أن يبحث عن الحقيقة الاروع ، ويتعمق الحياة بين الاخيار طلاب الحق والحقيقة من أبناء وطنه مستعينا بكل هذا العلم الذى مكنه الله منــه (وما كان أندره لأى انســان فى ذلك الزمــن لا فى السودان وحده ولكن فى كل البلاد العربية والاسلامية)

لذلك هاجر (محمد احمــد بن عبد الله) من بربر الى بلدة السرواب شمال الخرطوم الى حيث توجد خلاوى (رالجل أم مرح) الشيخ الشهير « الطيب » واحفاده

وهناك التقى بحفيد الشيخ الطيب وخليفته (الشيخ محمد شريف ولد نور الدائم) وهناك ايضا بدأت مرحلة أخرى جديدة فى معارف (محمد أحمد بن عبد الله) اذ بدأ دراســة الطــرق الصــوفية التى كانت منتشرة فى ذلك الوقت فى السودان ، خاصة طريقة رجال (أم مرحى) الطريقة السمانية التى سرعانما اعترف له (الشيخ محمد الشريف) بتبحره فيها ، فاعتبره (تماما كمــا فعل اســتاذه بالغبش) اعتبره استاذاً (شيخا) من مشايخ الطريقة السمانية يمكنه ان (يسلكها) لمن يريد من اخوانه المواطنين كما أخــذ (الشيخ محمــد شريف) بتقوى الشيخ محمــد احمد وخلقه الرائع القويم ، بل أخــذ ذكر هــذا الشــيخ الجــديد فى خلاوى (أم مرح) ينتقــل بين قرى (السرواب) على شمال الخرطوم قرية قرية .

وانتقــل (الشيخ محمــد احمد بن عبد الله) بعد ذلك الى اخوانه : أشقائه قرب أم درمان ومن هناك واصل جنوبا حتى نزل فى الجزيرة (أبا)

وكان يوما من أيام التاريخ والحياة فى (أبا) تلك الجــزيرة الرابضة على مقربة من مدينة (كوســتى) كان يوما حافلا فى حياة سكان هذه الجزيرة ، حل بينهــم شيخ من مواطنيهم ، تهل المعرفة من بين عينيه الألمعيتين وتكسو محياه السكينة العميقة ، التى تجدد معانى الحياة فى نفس الانسان .

وبالطيبة المتأصلة فى نفوســهم ، وبالبشر بالاخيار ، استقبل السودانيون سكان (أبا) الشــيخ الذى حل فى أرضهم والتفوا

حوله فى لياليهم التى أصبحت مضيئة عامرة تتجدد لهيبها فيستبين الانسان الجالسين حولها ، عيونهم معلقة بـ ـاذهم فى وسط الحلقة يعلمهم مما علمه الله من القرآن ، من السنة ، من الفقه من التوحيد ، من التصوف ، ثم من قصص الاولين يقص عليهم عبر التاريخ على مر أجيال البشر فتلمع عيونهـم ويغوصون بعيداً عن رهق الحياة الى الآفاق العريضة سابحـين مع الصوت الرخيم المكلل سـكينة ووقارا الى العلا .

ولا يمض وقت حتى تلتصـق القلوب بالقلوب ويصير الشيخ فى (أبا) جزءاً قدسيا من حياة مواطنيه حوله . بسمت ليالى (أبا) وعمرت أيامها ، وطار ذكرها الى ما حولها ، فبدأوا يفدون من كل فج من أرض الوطن الى شيخ (أبا) الذى يحمل الى مواطنيه روحاً جديدا بعـد ان كاد حكم الترك الغاشـم المعربد ، كاد ان يمـلأ نفوسـهم باليأس مما يرون من آثام ومظالم ،

واسـتمرت شـهرة الشـيخ تطـوف انحـاء المنطقـة يحـملها المسـافرون عـلى المـراكب فـوق النيل الابيض ، وتحمـلها الرواكب على البر غربا الى دار كردفان ودار فور ، وشرقا الى الجزيرة حتى سنار . وفى هذه الفترة سافر (شيخ أبا) الى الجزيرة حيث جـدد نهله من طريقة السمانية على يدى أحد كبار شـيوخها (الشيخ القرشـى ود الزين) ولم يمض على ذلك زمن طـويل حتى توفى الشـيخ القرشى فذهب (شـيخ أبا) حـباً وولاء الى الحـلاوين الى حيـث دفـن شـيخه وشارك هنالك فى اقامة قبة على ضريحه .

وهنا يجب ان نربط بذاكرتنا ان خليفة المهدى (عبد الله بن محمـد) من غـرب السـودان التقى بامامـه الزعيـم هـنا فى أرض الحلاوين عنـدما كانوا يقيمون قبة الشيخ القرشـى . ذلك ان (عبد الله بن الشـيخ محمد) كان قد سـمع مثل الكثيرين من السودانيين عن شـيخ أبا ــ الذى فتح امام الناس كوة من الأمل والعزم فى ظلماء حياتهم تحت سـيطرة الاجانب المتكبرين ، وكان

(عبد الله) مستصحبا والده الذى كان على (زاملة) له فى طريقه الى وسط السودان ليواصل سيره الى مكة فى الحجاز حيث يحج الى بيت الله الحرام ولكن هذا الوالد يموت فى أرض الجمع دار الشيخ عساكر فى قرية (ابى ركبه) ويدفن هنالك ، ويواصل الابن طريقة الى (أبا) الى ذلك الشيخ الذى ملأذكره آفاق القطر فأحياها بالأمل بعد كل موات •

ولكنه يعلم عندما يصل الجزيرة (أبا) بأن الشيخ غادرها الى (طابت) فلا يبقى هذا الرجل منتظراً فى محله رجوع الشيخ وانما يواصل السفر فى تلهف وشوق فيلحق(بالشيخ) هنالك أثناء بناء القبه ويتم لقاء تاريخى بين رجلين ، لم يعرفا وجوه بعضهما من قبل ، ولكن القلوب خفقت منذ سنين بأمل واحد وعزم واحد وتصميم موحد مشترك ومن هنا كان اللقاء تاريخيا قلبيا •• مؤثرا •

وتبدأ ايضا هنا مرحلة أخرى جديدة بموت الشيخ القرشى ولقاء الرجل الحديدى « عبد الله » بشيخه « محمد احمد » ذلك أن (شيخ ابا) اكتملت أمام ناظريه ، على مر سنين عمره فى مختلف مناطق قطره أثناء ترحاله : صورة كاملة لحياة أهله ومواطنيه تحت ظل الاستعمار التركى ، وادرك الرجل العامر القلب بالايمان أن الجذوة تشتعل فى النفوس ، وان الافئدة تغلى كالمراجل ولكنهم محتاجون الى (الرجل) المؤمن يربه المؤمن بوطنه وأهله ، المؤمن بالحق وحتمية انتصاره ، وبالباطل وحتمية زواله ، الرجل ذو البأس الصابر على الضراء مهما طالت ، وعلى المكاره مهما تلبدت السحب وغامت ، وكان (العلم) الذى تسرب الى كل خلجة من نفسه فأضاء للرجل كل شبر فى الحياة والناس من حوله قد مكنه من معرفة جوهر الرجال فاختار الصديق الجديد ، ليكون أول من يزف اليه خبر السر الضخم الذى طالما حوته جوانحه «الثورة» أجل « الثورة » العارمة تطيح بالفساد والمفسدين • وتعلى كلمة الحق كلمة المواطنين ، مهما حدث مهما بدا من صعاب • ووجدمن

الصديق ، المؤمن : السوداني الصادق ، اذا عاهد ، الماضي الى الامام اذا صمم • وتدارسا الأمر الخطير كرجال عظام على مستوى عظم المطلوب ، ولذلك قررا أن يتحسسا الأنحاء حولهما والظروف حتى تكتمل صورة خطوات التنفيذ أمامهما ـ ومن هنا فما آن رجعا الى الجزيرة «أبا » حتى غادراها غربا الى بلاد (الجمع) مرة أخرى ثم الى « جبال النوبه » الى « تقلى » والى قدير ••

وأتيحت للزعيم الذى عزم بمساعدة صديقه الأول وساعده (عبد الله) أن يكمل الصورة تماما فى هذه الجهة من أرض الوطن خبر دروبها ، عرف حصونها الطبيعيه ، تحدث الى أهلها فملأ النفوس هناك بروحه الدفاق ، وتلقى عهود البيعة الوطنية ، وعندما عاد الى (أبا) مرة أخرى بصحبة صديقه وآخرين كثيرين كانت سيماء جديدة تملأ وجه الزعيم : ـ (ألطريق الى الخلاص واحد ، لا ثانى له ، الفداء ، الوفاء ، والتضحيات ـ طريق الدم •• ضد الغزاة المارقين ، من أجل الحصول على حياة جديدة تليق بالوطن واهله ••)

وفوراً بدأ العمل ، الرسائل تحملها الدواب ، والمراكب الى علماء السودان ومشاهير رجاله تصف لهم حالة أهليهم ومواطنيهم تذكرهم بالجور الذى حاق بوطنهم وبقومهم • وتحسهم على الهبة الكبرى فى وجه الغادر اللئيم • وتصور لهم الآمال فى عهد تظلله رآيات العزة القومية ، ومبادىء الدين المثلى •• وتطلب منهم الجهر (بعد اليوم) بآمال الوطن وأمانى المواطنيين وأن يقوموا باطل الترك بحق السودانى المؤمن ، وان يجتمعوا اخوان فى الدين والوطن ضد الطغاة الغزاة ••

وانطلقت طلائع الشعلة المقدسة من ربى (أبا) العزيزة فسرت كمسرى النار فى الهشيم تطوف أنحاء الوطن الكبير بنغم جديد ، حبيب الى النفوس يقذف به قلب محب لهم عامر بحب هذه الأرض مؤمن بالرجال من بنى قومه ايمانا لا تزلزله مدلهمات الاحداث •

وكما يحدث فى كل أمة وفى كل عصر على مر تاريخ البشر أفاض النور فملأ جوانح المؤمنين فبدأوا يستعدون ويعدون . وركب الغرور أو الجبن رؤوس بعضهم ، فقارنوا بين امكانياتهم الفقيرة وامكانيات الاتراك الحكام التى لا تحد . فأصابهم الهول ، وغشيهم اليأس فآثروا السلامة والتظاهر بالامتثال التام الى الحاكم الاجنبى .

وعلمت الحكومة بكل هذا وبدأت من ناحيتها العمل المضاد فأرسل حاكمدارها (رؤوف باشا) أرسل رسولا منه ، يفاوض هذا السودانى الثائر ، ولكن الرسول رجع اليه يحمل النذر ، فقد رأى رجلا لا كالرجال ـ رجل مؤمن بربه وبقضية أمته . فصمم وعزم وحوله رجال قليون ولكنهم أشداء ذوو بأس يفدون القائد بأنفسهم وبأولادهم .

وهكذا تواجهت القوتان : الزعيم الذى تتبعناه منذ مهده فى (لبب)والى اكتماله فى (أبا) بعد سنين من جهاد النفس فى سبيل الاستزادة المستمرة من العلم والمعرفة حتى أضاء نور العلم كل خلجاته وانعكس على الحياة من حوله فعرف، هول ما يقاسى شعبه وعرف أيضا الطريق الوحيد للخلاص وواجبه نحو قضية قومه ـ فصمم وعزم .

والحكومة حكومة التركية ـ التى اغتصبت وطنا مغترة بما جاءت به من السلاح النارى الذى لم يعرفه هؤلاء السودانيون . ثم حسبت نفسها وصية متجبرة على هذا الشعب الى الأبد فعاست فى الوطن فساداً وهى تستكبر اليوم ان يقوم : ممن حسبتهم فى عداد عبيدها ، رجل منهم يجمع مواطنيه حوله فى ثورة عارمة قد تطيح بها وبمن معها .

هكذا تواجه الوطن يمثله الزعيم القائد ـ والاستعمار وتمثله حكومة التركية وجها لوجه .

فكيف مضت معارك الوطن ضد الاستعمار فى تلك الجولة من تاريخ أمتنا ؟ ! !

الحرب الشاملة ضد الغزاة

معركة ١٢ اغسطس ١٨٨١م (ام المعارك)

وبدأ فى الحال الاعداد للمرحلة الشاقة القادمة فى (أبا) جمع الزعيم اليه الرجال وجلا عليهم الأمرفانهم مقبلون على مرحلة لا تحتمل افتراضين ، فاما الثبات والقتال حتى الموت ، واما اعتزال الجماعة منذ الآن وقبل أن يبدأ البركان الانفجار .

ولكنهم مواطنوه من السودان أيفرون من أرض المعركة ؟

أيهجرون الرجل الذى صار اقدس الاجزاء فى حنايا نفوسهم ؟

كلا .. لا نكوص .. ولا فرار .. وانما المقارعة بالسلاح فى ساحة الشرف من أجل الدين والوطن . ووفاء للرجل الذى هيأته الاقدار ليحمل فى تلك الفترة أمانة أمته .

وهنا تحول الزعيم الى قائد يعد جنده ، أخذ يحدثهم عن « الحرب الاسلامية » تقاليدها وأساليبها ، ويعدهم للهجوم والدفاع ثلاثة أيام كاملة .

ولما اطمئن لكل هذا ، أعدوا سيوفهم ورماحهم (وعصيهم) أجل وعصيهم وهم يعرفون جيداً بماذا ينسلح أعداؤهم ولكنهم آمنوا والايمان لا يعترف بالخور والرهبة .

ووصلت الانباء المنتظرة : بلوكان من جيش حكومة التوركية ، مسلحون بالمدافع والبنادق ، تحملهم باخرة نيلية ، تعدو « الفاشوشية » بقرب (أبا) فى طريقهم الى هؤلاء الثوار فى الجزيرة .

وفى ليلة ١١ أغسطس ١٨٨١ وصلت الباخرة أطراف (أبا) .

وكانت ليلة « العهد الكبير » أعلن الزعيم على رجاله انه (مهدى) الله . وانه منذ تلك اللحظة يقرن كلمة (المهدى) الى اسمه ، الى ان يتحقق ما يريده الله .

وتجدد العهد بالاجماع ، وومضت عيون رجال من السودان ــ يستعدون للقتال أعدوا راياتهم ، حملوا سلاحهم ، وانتظموا صفين امامهم قائدهم ، وكبروا وهللوا طويلا فى اجزاء (أبا) والليل يردد اصداء عهدهم ، وتهليلهم ، وتكبيرهم ، وتحركوا نحو شاطىء الجزيرة الى النيل ، وهناك اتخذوا أماكنهم فى مواقع حربية : فى أرضهم الحنون ، التى طالما رأتهم يحملون (المنجل والسلوكة) تراهم الآن : ــ

رجالها كالأسود قوة وعزيمة ، جلد وصبر ، وتلهف على اداء ضريبة الدم ، فهل تخون أرضك (يا أبا) آهلها المصممون على استرداد شرف أمتهم ؟ .

ويمضى ليل المعركة البهيم والرجال ثابتون كالأطواد فى اماكنهم ، ويبدأ فجر اليوم الجديد فى الاشراق .

ويظن قائد بلوكات الحكومة المرابض بباخرته على أطراف الجزيرة انه قد نجح فى تكتم غزوته ، وانه سيباغت (المهدى) ورجاله قبل أن يطل عليهم الفجر ــ فيأمر جنده بحمل سلاحهم النارى كله . فيبدأون فى التحرك من على الباخرة الى الجزيرة فى صفوف عسكرية ، يسيرون بحذر شديد فى « ارض ابا » بين الشجيرات ، وبرك الماء وعندما يبتعدون قليلا من الشاطىء اذا بهم فجأة يشعرون بالأرض من حولهم تنشق عن ثوارها : ــ المهدى ورجاله «المائتين » يواجهون البلوكات المسلحة فى قتال الرجل للرجل ، فلا يمكنوهم من اتخاذ مواقع تسمح باستعمال رصاصهم . وتدور المعركة بين الاشداء المؤمنين والجند المأجورين ويتعالى الصياح . ويرتفع التكبير ويسقط جند الحكومة المأجورين كأوراق الخريف . ثم يفر من استطاع النجاة هاربا تاركا خلفه بندقيته أو مدفعه . ويصلون فى عناء الى الباخرة التى تمخر هاربة بهم الى حيث ، يزفون الى الحكومة فى الخرطوم ،النصر الأول : الأكيد للثوار من بنى السودان . والهزيمة الاولى لحكومة التركيه الغازيه .

ويرجع الرجال الى البلدة فى « أبا » وقد سبقتهم الانباء الى من بقى هناك من نساء وأطفـــال • فخرجوا جميعا يعانقون الأب والابن والخال ـ ولكن الزعيم يخلو بمستشاريه فهى قـــد جدت وحميت وما هذه الا البدايه فقط • وهو يدرك تماما ما قد تفكر فيه الحكومـــة منـــذ اليوم من خطوات • وهو يعلم ان المعـــارك القادمة ستكون أكبر من هذه الجزيرة الصغيرة « المحاطة » بالمـــاء فيقرر فى الحال الانتقال الى أماكن أرحب من أرض الوطن ، التى يقاتلون من اجل شرفها • وفعلا يتحرك الرجال بسلاحهم وبركائبهم وبالبنادق الغنيمة الاولى من الاتراك يتحـــركون غربا الى الاماكن التى سبق للزعيم أن رآها وتفحصهـــا وأدرك صلاحيتهـــا لادارة الحرب •

واستقبله مواطنوه فى طريقـــه غربا من كوستى يهللـــون ويكبرون ، وينتظمون فى صفوف الزاحفين ، حتى وصل الى جبال النوبه والى جبل (تقلى) الحصين •

وحاولت الحكومة أن تدركه فى الطريق فأرسلت ألف عسكرى من المشاه ، ومائتين من راكبى الخيول ، وجموع كبيره من راكبى الجمال ، ولكنهم مـــا أن وصلوا الى منطقـــة « تقلى » حتى أظهر لهم حاكم المنطقـــة السودانى : ـ « ادم أم دبالو » عـــدم رضائه على دخول جند الحكومة وقائدهم « مدير الأبيض » الى أرضه • لأنه سبق أن عاهد مواطنه الثائر على حمايته •

وأدرك قائد حملة الحكومة انه أمـــام شعب بدأ يتجمـــع • يحمى بعضه بعضاً • ويقف كل منهم الى جنب أخيـــه • فانسحب راجعـــا دون أن يطلق رصاصه واحـــدة بل لحقت به بعض طلائع الرجـــال من جيش الزعيم المهـــدى واستطـــاعوا أن يقضوا على السائرين فى المؤخرة

أما القائد المهدى فقد دله أهـــل « تقلى » الى موقع حربى حصين منيع وسط جبالهم يسمى « بطن أمـــك »فذهب الى هناك حيث أقاموا على الفور معسكرا ضخما يعدون أنفسهم بالتدريب

المتواصل على سلاحهم ، وعلى السلاح الجديد الذى غنموه ويجلسون الى القائد يعظهم ، ويحدثهم ، ويعلمهم ، تماما كما كان يفعل فى حالة السلم . السلاح بيد . والعلم والكتاب أيضا فى اليد الاخرى : فى أحلك اللحظات .

والوفود تترى تسيل بها الدروب . من كل صوب الى القائد الثائر . جنداً بين الجنود ، ومددا وطنيا لا ينقطع . وأرض السودان فى بطاح (تقلى) مخضرة باسمة رواها ماء الخريف فجادت بكل نفسها الى رجالها الثائرين . تحنو عليهم بفيض من عطائها الذى لا ينقطع . فيزيد كل هذا النفوس المؤمنه ايمانا على ايمانهم . وقوة على قوتهم . حتى يصبح النذير بالموقعة التالية ضد الاعداء ... وبدأت النذر وأتت الأنباء مستعجلة .

يعلمهم مما علمه الله ـ دائما وفى أصعب اللحظات السيف بيد ، والكتاب فى اليد الأخرى .

المعركة الثانية على بطاح قدير

ديســمبر ١٨٨١م

عــدد ٣٥٠ جندى تركى وبلقانى من النظاميـين المدربين تماما على كل الاسلحة النارية وأساليب الحرب .

٧٠ جنــدى من الخــطرية ، فرقة الفدائيـين دربوا على فتــح الثغــرات أثناء المعــركة .

١٠٠٠ جنــدى يتســلحون بمخــتلف الاســلحة . . مؤن كافية ركائب كافية . . حمــلة كاملة أعدتها الحــكومة التركية للجولة الثانية واسـندت قيادتها الى « راشد أيمن » احد قادتهــم وحاكمهــم المفوض على بلدة « فشــوده » ووصلت الحملة الى مشارف الجبال فى أرض تقلى وهى تظن أيضا بأنها قد تكتمت تماما أخبارها حتى يمكنها أن تستفيد من عامل المباغتة الحربيه

ولكن رجال تقلى ونساء تقلى هل يسلمون رجالهم الثائرين الى جنــد الاتراك يباغتونهم ؟ لا يمكن أن تكــون هكذا تقلى . فامرأة من نسائهم هى « رابحه الكنانيه » حملت عن القبيلة هــذا الواجب . لانها امرأة وربما لا يشك فى امرهــا جند الحكومــة

حملت (رابحة) عن أهلها هــذا الواجب العظيم فمضت ليلا بأكمله وسط الجبال وبين مسالكها الوعره تطلــع وتنزل وتسرع وتبطء حتى أهل النهار فاستمرت تسير وتســير حتى انتهى ذلك النهار أيضا وبدأ ليــل اليوم الثانى يدخــل فوصلت الى معسكر الزعيم المهدى فى « بطن أمــك » وأخبرتهم بأمر (راشــد أيمن) وحملته المتربصين بهم .. كما قام أيضا أهل الجبال فى ذلك الليل نفسه بايقاد النيران فى قمم جبالهم حتى يرى المهــدى ورجاله لهبها فيعرفون أن عدوا من الاعداء يتربص بهم .

وبدأ الاعداد الجــديد وأعطى كل قائد رايته ، وفهم تماما دوره فى المعركة وقرب الفجر كانت طلائعهم قد رأت تمامــا جيش « راشد أيمن » ولكن الزعيم ــ يكبر للصــلاة ونذر العــدو فى

الانحاء حولهم فهرع الجندوالقادة ينتظمون خلفه وفى طمأنينة كاملة وسكينة يؤدون صلاة الصبح عند الفجر وما ان تتم الصلاة حتى يكبر الزعيم فيجلجل الوادى كله والجبال بأصوات الرجال تهدر بالتكبير وراء القائد الزعيم ثم يأمر فيهرع كل رجل الى سلاحه والى مكانه تحت راية قائده . ويبدأ الجيش الضخم يتخذ موضعه والطلائع فى أعلا الجبال حولهم ترصد العدو الزاحف وتخبرهم بكل تحركاته . الى أن اقترب العدو وبدأ يعد موقعه للمعركة وهنا فقط صدرت الاوامر بالهجوم فتقدم صف كامل من المقاتله جند المهدى ودخلوا هاجمين بسلاحهم فى قلب جيش الاعداء ومن اللحظة الاولى حطموا نظامهم فبدأت صفوفهم فى التشتت وهنا صدرت أوامر (المهدى) الى راكبى الخيل من فرسانه بالاحاطة بالعدو من الجناحين حتى لا ينجو هارب ، وفعلا اشتدت المعركة وحمى وطيسها (وراشد أيمن) ورجاله فى الوسط أحاط بهم المقاتلون السمر من كل صوب يهللون ويكبرون ويندفعون فى قتال مرير لا يعرف اليأس ولا التراجع والزعيم « المهدى » على ربوة عالية على فرسه يصدر الأوامر حسب سير القتال فيسود انتظام جنده فيشتد الوطيس غليانا ولكن (راشد أيمن) قد سقط وأبيد من معه عن آخرهم وغنم كل ما كان عندهم من سلاح وعتاد

وطارت الاخبار الى كل مكان ، نصر جديد حاسم وأكيد فبدأت حكومة الاتراك فى رئاستها فى الخرطوم تهتز وترتجف وأرسلت تطلب المدد من اهلها حكام القاهرة .

وبدأ الناس فى انحاء القطر السودانى كله يتنسمون هذه الأخبار فتكسبهم روحا جديدا فيهب كل قادر منهم متجها نحو اخوانه فى جبال تقلى .

واتضحت معالم الطريق ودخل الكفاح مرحلة حاسمة ولكن لننتظر أيضا فى موقعنا الحصين محاولة الحكومة الجديدة ــ فها هى أنباء مؤكدة ــ عن تحركات جديدة من قبل الاتراك يحاولون أن يتشبثوا بهذه الديار رغما عن أنف أهلها ولكن هل يسمح المهدى وجنده البواسل بهذا ؟

المعركة الثالثة على ارض (قدير)
ثم سقوط الابيض

مايو ١٨٨٢ م ـ اما هذه المرة :ـ

عدد ١٣ بلوك من الجند الاتراك الارمنيين والسربيين المصريين وغيرهم بدل بلكان فى أبا .
١٥٠٠ جندى من الخطرية الفدائيين المدربين على فتح الثغرات الجيش .
سلاح كامل مدافع ، بنادق ، طبنجات تحت قيادة « يوسف الشلالى » وتحرك هذا الجيش وهم يعلمون انهم أكبر قوة استطاعت حكومة الترك أن تعدها للمهدى حتى الآن وخيل اليهم انهم بسلاحهم النارى الكثير سيستطيعون أن ينجحوا فيما فشل فيه كل اخوانهم المهزومين السابقين ، ولكنهم نسوا عن أى قضية يقاتلون . وعن أى مبادىء يقف من الناحية الأخرى «محمد احمد المهدى» وجنده السودانيون وبدأت الانباء عن تحركاتهم تصل الى (قدير) ذلك الجبل الحصين من جبال النوبة الذى صار الآن عليه المعسكر السودانى الضخم جند الزعيم ، رجاله المقاتلة ، بكل عدة الحرب التى صارت لديهم الآن .... ونظم الزعيم طلائع خاصة من راكبى الخيل يحملون أنباء حملة حكومة التركية ساعة بساعة فتصل الى القائد فى (قدير) ويعد على أساس هذه خططه للقائهم .. حتى جاء ذلك اليوم من مايو عام ١٨٨٢ م

فقد وصل(يوسف الشلالى) بجيشه الضخم الكبير وبسلاحه وعتاده الى قرب (قدير) فى جبل اسمه (جبل الجرادة) وكان الشلالى مغروراً بجيشه النظامى وسلاحه ، خيل اليه ان النصر حتما سيحالفه ....

وما ان وصل (الشلالى) وجيشه جبل (الجراده) فى ذلك الليل من مايو سنة ١٨٨٢ حتى أمر جنده باقامة زريبة ضخمة حولهم حتى يرتاحوا استعداداً للقاء فى اليوم التالى شديد ..

وعند الفجر وكتقاليد المقاتلة السودانيين نادى آذانهم وتقدم الامام قائدهم وواجه القبلة بسكينته ووقاره المعهودين بكل جوارحه الى ربه اتجه وخلفه الرجال امتلأ بهم كل شبر من الارض صفوفا متراصة خلف القائد فى حضرة الله ....

وأدوا صلاتهم بكامل الطمأنينة وهم يعلمون تماما من يقبع بقربهم على ربى (جبل الجراده) وهنا أيضا ـ واجه القائد صفوف الرجال المتراصة كالبنيان وكالبحر المتلاطم . جند ـ أمة توحدت كلمتها . وشرح لهم أسس معركة اليوم (فان الهجوم هذه المرة سنكون نحن البادئين به أولئك الغزاة الذين سعوا من هناك لنا) .... وعدد لهم الرآيات وقادتها ـ كالراية الرئيسيه « الراية السوداء اللون » وهذه على قيادتها خليفته الأول(عبد الله) فكان كلما نادى « المهدى » اسم قائد وبين رايته يتحرك القائد على الفور وأمامه (رايته)وخلفه صفوف جنوده شاكى السلاح ويتحرك الى الزريبة على (جبل الجراده)وهكذا مضى القائد ينادى القادة وهم بجنودهم يتحركون بقوة وضخامة الى مواقعهم حول العدو . . حتى أحاطوا بهم من كل صوب .

ونظم « الشلالى » أيضا جيشه على جوانب « الزريبه » الضخمة متخذا من محله موقعا مانعا يجعل جنوده يتكتلون ،ولكن الزعيم « المهدى » يصدر الاوامر فى الحال ... فتبدأ الصفوف التى لا يحدها البصر الراجلين والراكبين ، المهللين ، والمكبرين كلهم بسلاحهم يقفزون الى « الزريبة » التى بدأت مدافعها وبنادقها تأز فترتجف لهولها الجبال من حولها ـ

ومضت المعركة هجوم مستمر ، صف أثر صف ، من كل الجوانب على « الزريبة »والزريبة نفسها تتهاوى تحت أقدام الرجال ، وتحت سنابك خيلهم ، والجند فى داخلها غشاهم هول

ما رأوا من ضراوة المقاتلة المؤمنـين فأخـذوا يلقون بسـلاحهم ويفرون ولكن الخيـل تضيق عليهم الحلقـة ، كل لحظة والتكبير دائما يعلو ويعلو . حتى سقط « الشلالى » قائدهم تحت الاقدام فتم انكسارهم ، وفر من استطاع منهم .

ولقد تم هكذا نصر جديد أكيد على بطاح قدير ، وتأكد لكل ذى عينين وكل ذى اذنيـين أن الثورة المشتعلة من « آبا » قد صارت الآن ناراً ضارية تحـرق كل من يعترض دربها واما القائد نفسـه ورجاله ومستشاروه ، فلم تبطرهم هـذه الانتصارات المتلاحقـة وانما كانوا يتدارسـون فى هدوئهم العميق ، الموقـف العسكرى الجديد ويأخذون لأنفسهم الخطـط المناسبة الجديدة .

وتأكد لهم أن الوطن بكل ربوعه ، يتجـه الآن بقلوب بنيه نحو « قدير » حيث الامل العظيم فى شعلة الحرية المتقدة المنتصرة فى كل يوم ــ ولذلك فقـد قرر القائد ورجاله أن يزداد الكفـاح سرعة حتى يقرب يوم الخلاص النهائى

ومن هنا فقد تقرر بداية الزحف نحو معقل الاجانب الرئيسى نحو الخرطوم ــ ولكن كانت « الابيض » على مقربة منهم ، ولا يزال بها مدير من حكومة التركيه ، بجيشـه فاذن لتكن الابيض أولا حتى يتم تطهـير غرب السـودان كله من أثر نفـوذ الترك الباغيـين .

وبدأ الزحف الضخم نحو « الابيض » عاصمة كردفان . . .

وهنا بدأ الناس يشعلون الثورة على الحكومة فى كل مكان من السودان ثار « احمد المكاشفى » وأهله وأستولوا من الحكومة على سنار ..

وثار « احمد ود طه » فى منطقة رفاعه ، فقطع على الحكومة خطوط اتصالاتها بالمنطقـة وثارت منطقة « أبى شـوكه » بقيادة « محمد زين » كما اندلعت ثورة على الاتراك أيضـا فى منطقـة الجبلين بقيادة ود الصليحابى واما منطقة طايت والمسلمية مهد طريقه الزعيم (الطريقة السمانية) فقد تابعت بقلوبها كل خطوات الزعيم وعندما حانت الفرصه رفعت أعـلام « الثورة » بقيـادة شيخهـا

« فضــل الله ود كريف (١) » وهــزموا تمــاما كل التجــريدات التى أرسلت اليهم ..

وتوالت هذه الأنباء على الصــفوف الزاحفة على الابيض ، فزادتهم ثقــة بمواطنيهم فى كل مكــان وأيقنوا أن الطريق أمامهم أصبح ظاهراً فــلا بد من النصر الشــامل الكامل ولا بد من عهد الحرية الوطنــية ، وتغيــير الحال السيىء الى عهــد جديد ملىء بارهاصات السعادة والعزة

وفى يوليو سنة ١٨٨٢ وصلوا مشارف الابيض أكثر من مائة ألف رجــل راكبين وراجلين خلف زعيمهم يدقون أبواب الابيض بعتادهم ــ ولكن الابيض كان بها سلاح نارى وحصون فتمكنت « الابيض » أول مرة من المقاومة ولكن الحصــار ضرب حولها من كل صوب حتى جاعت وسلمت ، سلم « مديرها » وجنودها بكل ما معهم من سلاح ...

وتبع تسليمها تسليم من بقى من عملاء حكومــة التركية فى غرب السودان فقد جــاء « ســلاطين » رافعــا يديه بالتسليم من دارفور ، وجاء آخرون كثيرون ....

وأمــا عن حكومة التركية فى الخرطوم فقد أدركهــا الهزال التام وأخذ «الخديو» حاكم مصر ، يعزل حكامه فى الخرطوم حاكما بعد حاكم فى ارتجــاف واضطراب ولكنهم جميعــا يفشلون ومن هنــا يقرر الخــديوى التركى فى « مصر » أن يعتمد فى هزيمــة الثوار السودانيين على « الانجليز »

فيختــار الانجليزى الضابط « هكس » ليكون المحــاولة الرئيسية والنهائيــة فى جيش ضخم ينــازل « المهــدى » المنتصر باستمرار ، فماذا حدث لمحاولة الحكومة الاخيره ... ؟

---

(١) أفادنا الدكتور شبيكه ان (ودكريف) ثار فى منطقة (معتوق)

امير الأمراء قائد جيوش النصر فى شيكان وأم درمان عبد الرحمن النجومى

المعركة الرابعة ـ شيكان
فى نوفمبر عام ١٨٨٣م

جيش رئيسى ضخم يقوده الضابط الانجليزى ((هكس))
جيش على الطريقة الحديثة فى تنظيم الجيوش (فيه ضباط عظام ـ لواءات واميرالايات وقائمقامات)
جيش تعداده يزيد عن الاثنى عشر الف جندى نظامى
جيش يضم جنسيات تركية واوربية ، ومصرية . . الخ
جيش مزود بعدة كاملة من السلاح الحديث ، وباعداد ضخمة من الركائب جمال تحمل المؤن والذخائر وبغال وحمير تحمل المواد والتموين وعدد ضخم من الخيل عليها الجند والضباط

فماذا بقى لهذا الجيش الحديث ؟

المعد ليكون ضربة حكومة التركية القاصمة للثورة السودانية ماذا بقى لهذا الجيش القوى الحديث ؟

تحركوا فى عددهم وعدتهم من عاصمة البلاد من الخرطوم واتجهوا محاذين للنيل الى بلدة (الدويم) ثم تحولوا فى طريقهم غربا الى حيث (الثورة) المنتصرة فى غرب السودان .

وتخيل هذا الجيش الضخم وقائده الانجليزى (هكس) أن القرى السودانية من (الدويم) غربا ستساعدهم فتعطيهم ما تعلم عن تحركات (الثوار) بل وتزودهم بما يحتاجون اليه من بعض الماء . أليسوا هم جند حكومة التركية ،قادمين من عاصمتها للقضاء على ثوار عليها ؟

ولكن هذا الخواجة وهؤلاء الاتراك وجيشهم الضخم لم يحاولوا أن يتعمقوا الوهج الجديد الذى بدأ ينبعث من عيون هؤلاء السودانيين منذ أن عمت أنباء ثورتهم المنتصرة اطراف القطر .

ماذا فعل سكان القرى البسطاء من السودانيين على طريق هكس الى الابيض ؟

لقد هجروا قراهم ومساكنهم بل ودفنوا الآبار التى يشربون منها الماء هم وحيواناتهم • فضلوا الضرب على غير هدى فى الخلاء البعيد على ان يكونوا جواسيس على أبناء أمتهم فى ثورتهم الجبارة آثروا التشرد على أن يسكنوا قرى يريدها (الترك) ان تكون عونا لجنده ضد بنى وطنهم المجاهدين •

وكانت تلك علامة كبيرة لنوع الشعب الذي يمخر هذا القائد الانجليزى أرضه يقود جيوش الترك لهلاكهم ولكن (هكس) ومن معه لم يرعو، وانما عقدوا مجلساً من كبار ضباطهم وتدارسوا أمر هؤلاء القرويين الذين يفضلون تحطيم قراهم على أن يكونوا عونا لهم •

وقرروا ان يستمروا فى زحفهم دون التفكير بعد الآن فى الاستعانة بهؤلاء السودانيين •

هذا عنهم فماذا عن الثوار بعد نصرهم فى الابيض ؟

لقد كان المهدى يعلم بانتظام ، بكل ما يجرى فى صفوف حكومة التركية المرتجفة •

كما كان يعلم كل اخبار حملة (هكس) الضخمة منذ خروجها من الخرطوم على طول خط سيرها من الدويم ، وكان يعرف رد الفعل من السودانيين على طريق هذه الحملة •

وباستشارة قادته تقرر ان يبدأ القائد (أبو قرجه) فى مجموعة من الجنود راكبى الخيل الخروج ومتابعة هذه (الحملة الضخمة) بقصد اتعابهم وتخويفهم وذلك بأن يهجم على آخرهم كلما أتى الليل وفى نفس الوقت يرسل اخبار مفصلة عن عددهم وسلاحهم وخططهم ــ وتم ذلك فعلا ــ ولحق (أبو قرجه) برجاله بالحملة بطريق لا تعرفه هى وعندما جاء الليل وأوقفوا سيرهم فى مكان ما بالطريق حتى يرتاحوا قليلا ــ بدأ الرصاص فجأة يدوى من بين الشجر ، فأصابهم الذعر ، وبدأت حيواناتهم تجرى يمينا وشمالا

مما دعا قائدهم لاصدار أوامره بأن يمسك كل منهم بسلاحه ـ ولكن بعد ذلك انسحب (المهاجمون) حسب الخطة الموضوعة ـ ولم يعاودوا الظهور الا فى مساء اليوم التالى عندما بدأ جيش (هكس) يرتاح من سير النهار المستمر الطويل فأصابهم الذعر والتشتت مرة أخرى ـ وهكذا مضت لياليهم بلا راحة من (أبى قرجة) وجنوده ـ فأنهكهم التعب وبدأ جنودهم يعرفون المصير الذى ينتظرهم •

وبدأوا يقتربون من الابيض معقل جند الثوار وقائدهم وبحث الزعيم القائد الأمر فتقرر ان يبدأوا هم المعركة وذلك قبل أن يصل (هكس) بجيشه الى مشارف الابيض واختاروا من الارض التى يعرفونها جيداً أصلح مكان يديرون عليه هذه المعركة •

فوقع الاختيار على غابة خارج الابيض هى (غابة شيكان) وذلك لأنهم يعرفون ان بهذه الغابة المليئة بالأشجار طريق رئيسى واحد وسط الغابة لا بد ان يسلكه (هكس) فى طريقه للأبيض وهنالك فى وسط هذا الطريق المحصور بين الشجر يمكن أن تدار معركة يتمكن الثوار من (استراتيجيتها)

و فى الحال نودى القائد (حمدان أبو عنجه) ليكون قائد فرقة (الجهادية) فى هذه المعركة (والجهادية) هى فرقة حديثة فى جيش الزعيم المهدى يتسلح رجالها بما غنموه من الاسلحة النارية من بنادق ومسدسات وغيرها وقد تمرنوا تماما على اجادة هذا السلاح •

كما جعل القائد (النجومى) قائدا رئيسيا للمعركة كلها •

وتحرك (حمدان أبو عنجه) سريعا الى (شيكان) وهناك وزع جنوده بسلاحهم النارى على قمم الاشجار وتحت (الاشواك) فى ظلام الشجر المتشابك ، وجعلوا يرقبون الطريق الرئيسى وسط الغابة كل ذلك و (أبو قرجه) يجعجع (بهكس) وجيشه فيحرمهم أى راحة بالليل ، وفى نفس الوقت يبعث بخط سيرهم وأحوالهم بالتفصيل الى القيادة فى (الابيض) التى كانت بدورها تزود

(أبى عنجه) داخل الغابة بتفاصيل سير العدو .
وتوغل الجيش الضخم الذى تحرك من الخرطوم فى أكثر من ١٣ الف جندى تحت قيادة أعظم ضباط الاتراك وبرئاسة (هكس) الانجليزى .
توغل هذا الجيش بعتاده الضخم وحيواناته التى لا حصر لها فى داخل الغابة (فى الشيكان) وسكون الموت يلف الحياة حولهم ، والطيور من اعلا الاشجار تحوم من حولهم توحى بالخطر ويطمئن (حمدان أبو عنجه) لوقوعهم تحت نيرانه فيصدر الأوامر بالضرب فينطـلق الرصاص من كل مكان من السـماء ومن الارض ومن الشـمال ومن الجنوب .ومن كل مكان فى الغابة ...ويفطن أولا قادة هذا الجيش للخطة التى وضـعت لهم فيشـكلون بسرعة من جيشهم الضخم مربعا يحوى فى داخله العتاد والحيوانات والذخيرة ويواجه المربع الغابة من كل جهـة فيطلق النار على الجهات التى ينطلق منها الرصاص فى الغابة .
ولكن فى هذا الوقت بالضبط ـ يصدر الزعيم المهدى الأوامر النهائية للجيش الرئيسى بقيادة (النجومى) فدخلوا الغابة فى أعداد لا حصر لها وكسروا المربع امامهم فى الحال وينزل « ابو عنجه » ورجاله من قمم الاشجار الى الجناحين ويقفـل (أبوقرجه) طريق الدخول الى الغابة من خلف الجيش وتمسك (الكماشة) الحربية الهائلة بالاثنى عشر ألف مقاتل وضباطهم العظام فتلوكهم وتبيدهم عن آخرهم والرايات تخفق على قمم الغابة فى الشيكان ، والتهليل يهدر يملأ كل مكان ويتم نصر حاسم نهائى لثورة كبرى يعـززها جيش مقاتل ضخم .
وتظهر النهاية لحكام الاتراك فى مصر والخرطوم . .
فيصيبهم الذعر والارتباك ـ لا يدرون ماذا يفعلون ، وهنا تأتى (انجلترا) للتدخل عمليا فى احداث وطنـنا فى ذلك الوقت . فهى قد سـيطرت على مصر من خلال ضـعف حكامها الاتراك ـ ويتفقون جميعا على ان يرسلوا للسودان الرجل الذى ظنوه اقدر

الرجال ليحل مشكلة السودان ذلك الرجل الذى نال ثقة الامبراطورية البريطانية الواسعة ، وثقة حكام مصر الاتراك ليضع حداً لثوار السودان هو الانجليزى (غردون) فماذا كان مصير غردون على الارض التى حسبوه سيكون عليها سيداً فوق كل الاسياد ..؟

« الكماشة الحربية الهائلة فى شيكان

أبو عنجه وجنوده فوق القمم »

٢٦ يناير سنة ١٨٨٥
المعركة الخامسة (الفاصلة)
نهاية عهد باكمله ـ وهلال عهد وطنى ـ سقوط الراية الاجنبية من على السارية تحت اقدام الثوار فى الخرطوم

لنذكر جيداً انه قبل يوم هذه المعركة بسنة كامة (بالضبط) اى فى يوم (٢٦ يناير عام ١٨٨٤) كان يقف على محطة القاهرة بضعة قادة من كبار الضباط الانجليز أصحاب النفوذ فى ذلك الوقت فى مصر وحولهم طاقم طاقم كامل من كبار الاتراك حكام مصر ـ ثم طاقم من (المستوزرين) المصريين الذين باعوا أنفسهم ووطنهم بأرخص الاثمان لحكامهم الاتراك وأسيادهم الانجليز وتأملوا هؤلاء الوقوف على محطة مصر ...

ذلك هو (بيرنج) القائم باعمال المعتمد الانجليزى فى مصر والحاكم الحقيقى لها ـ فى واقع الامر ـ وذلك (ايفلن) الضخم المكتنز لحما وشحما الذى كان (سردار الجيش المصرى) اما ذلك الطائر النظرات ، الفاقد الثقة بنفسه فهو (نوبار) باشا الذى كان وقتها رئيساً لوزراء مصروذلك الجنرال العنجهى هو (غردون) بعينه

وكل هؤلاء فى محطة مصر ـ فى ذلك اليوم ـ من أجل وداع الجنرال المنقذ (غردون) بكل عنجهيته بكل صلفه ، بكل غروره ، واحد من أبناء تلك التى كانت امبراطورية عجوزاً ولكنها ضخمة فى ذلك الزمان ـ وكان جنرالها ينظر بكل ضخامة امبراطوريته وعنجهيتها الى الناس فى كل مكان .

وحمل قطار يوم ٢٦ يناير سنة ١٨٨٤ غردون من محطة مصر فرحا يلوح بيديه لمودعيه من وزراء ومستوزرين .

وتمضى الحياة ... ويسجل التاريخ ... خطوات غردون على أرض الثورة فى ذلك العام أرض السودان .

وفى ١٨ فبراير وصل غردون الى عاصمة السودان الى الخرطوم ــ وكانت تصرفاته كلها تتصف بتلك العنجهية التى رأيناه عليها فى محطة مصر فى ذلك اليوم ــ لقد خدم (غردون) هذا قبل الان لمدة طويلة موظفا (وحاكمدارا) لحكومة التركية ، ولكنه لم يحاول فهم طبيعة السودانى وخلقه وهذه المره كان يتصرف زيادة على عنجهيته الشخصية بجهله التام ايضا بالخلق السودانى وبالدوافع الاصيلة للثورة السودانية فبدأ منذ وطأت قدماه ثرى أرضنا هذه المرة يتحدث الى الناس بصور مختلفة يمنيهم بأنه سيمنحهم الاستقلال ــ ثم يهددهم بأنه قادر على سحق الثورة كل ذلك وهؤلاء الناس قد عرفوا طريقهم وساروا فيه باصرار رغما عن أى غردون ــ أو من يسند غردون .

أما هناك فى قيادة الثورة فبعد معركة شيكان لم يبق فى أهم أجزاء الوطن السودانى أى رجل من مشاهير أبناء البلاد الا أعلن بوسيلة ما ، تأييده لثورة البلاد ولقائدها العظيم . فمنهم من أتى بنفسه واهله للأبيض كشيخ (المهدى) الأول ببربر (الشيخ محمد خير) وكالرجل العظيم (عثمان دقنه) وغيرهم ، وغيرهم ، وآخرون فعلوا كما فعلت مناطق أرض الجزيرة ــ أعلنوا الثورة على ممثلى حكومة التركية وتولوا منها مقاليد الحكم وأرسلوا للقائد فى (الابيض) يخبرونه بذلك .

وأعظم التحركات كانت فى شرق السودان حيث كانت توجد قوات كبيرة لحكومة التركية تساعدها فرقة من الجيش الانجليزى فعندما رجع عثمان دقنه بعد مقابلته للمهدى فى الابيض رجع منوثبا ملأه روح البعث الجديد وكان رجلا قويا جلدا أعلن الثورة باسم القائد المهدى فى ربوع شرق السودان فتجمع حوله مواطنو الشرق فاكتسح قواعد حكومة التركية بجيشها والجيش الانجليزى فى طوكر فجلاها عنها ، ثم لحقهم فى سنكات فأنزل بهم

أشنع هزيمة • وسيطر باسم قائده الزعيم على شرق السودان فأمن بذلك ظهر الثورة من ناحيــة الشرق وميناء السـودان فى ذلك الوقت (سواكن) ••

(والشيخ محمد خير) رجع أيضا من تلميذه (القائد الامام) الى بلده بربر يحمــل للناس الفيض الهائــل من روح البعث الــذى شهده بعينه ــ فى الابيض وفى كل مكان فأجتمــع حوله مواطنو المنطقــة السودانيين واعلنوا الثورة باسم القائد الزعيم وفى مايو ١٨٨٤ سقطت بربر وقبض مدير حكومــة التركية هنالك أســيرا ومعــه من بقى من جنوده وضباطــه وهكذا الشرق ، والشمال ، وأرض الجزيرة حتى منطقــة الفونــج • وغرب السـودان كله ، والجنوب ماذا بقى ؟ (العاصمة الخرطوم التى وصلها غردون !!)

أما عن الخرطوم ••

فقد بعثت الطلائــع الاولى لبداية حصارها وفى ١٥ مارس سنة ١٨٨٤ اســتطاع جند الثورة بقــيادة « الشــيخ العبيــد » « وود البصير » احكام الحصار حول الخرطــوم من جهاتها البرية حتى لا يصل الى حكومة التركيــة أى امدادات عسكرية او حتى امدادات من الغذاء

وبعد هذا لزيادة الحصار درجــة أخرى بعث المهدى القائد المقاتل الشهير (أبو قرجه) واعلن المهدى ان (أبو قرجه) قد عين قائدا للبر والبحر حول الخرطوم حتى يحكم الحصار تماما حولها كما فعلوا بالابيض قبل فتحها ــ

ووصل الحاج محمد أبو قرجه بجيشه فاتخــذ مكانه شرق الخرطــوم وفى الناحيــة المقابلة للخرطوم شرق النيــل الأزرق فى (الخرطوم بحرى) وأقام أبو قرجــه ــ التحصينات لقوته ــ ولم يحكم الحصار وفقط ، وانما أخــذ جنوده يصوبون بنادقهم الى « سراية حكمــدار » الخرطوم ويصلونها ناراً حاميــة انذاراً له بما ينتظره •••

هكذا كان حال حكومــة التركية فى الخرطوم وعلى رأسها

بطل سنكات وطوكر ومعارك التيب ، رجل الشرق عثمان دقنه العظيم

(غردون) • • لم يكن امامهم من سبيل : بقعة فى (نصف القطر الذى آمن كله بالثورة طريقا للخلاص فثاروا فى كل مكان • • »

ولكن قلنا ان (غردون) لم يفهم هذا أبداً ـ انما مضى مغترا صلفا يقيم التحصينات حول نفسه وجنده فى الخرطوم فأقام « سوراً » طويلا من السلك الشائك فى شبه دائرة كبيرة حول العاصمة الخرطوم ـ ثم بنى أيضا طابيات ليتخفى وراءها الجنود ويخرجون من ثقوب فيها فوهات البنادق والمدافع واخذ « يجند » الناس للجندية ، كل انسان فى الخرطوم (عمل) جنديا وأعطى سلاحا •

وبدأ (أبو قرجة) الانذارات بأمر من القائد فى الابيض ، أرسل لغردون يخبره ان معه فى الخرطوم أناسا أبرياء ليسوا بدخلاء ولا أجانب وانما هم مواطنون اضطرتهم ظروفهم للبقاء داخل الخرطوم ولهذا فان (القائد الامام) يطلب منه التسليم دون قيد أو شرط حفاظا على أرواح الابرياء من الذين معه •

ولكن (غردون) الصلف لا يحاول فهم هذه الانذارات ، وعندما يرى بنفسه خطورة الوضع من حوله يتجه نحو بلده وامبراطوريته ، ويكتب لانجلترا واصفا حاله طالبا الانقاذ • • • وهنا تقوم قائمة الامبراطورية ، الصحافة الانجليزية ، البرلمان الانجليزى ، الوزارة الانجليزية ، كلها تتحدث عن (البطل المحاصر فى الخرطوم) الوحوش السودانية حول غردون يمجدون رجلهم الى السماء ويصفون بأقبح الاوصاف الرجال الذين ثاروا فى أرضهم يريدون فقط العيش فى حرية وعزة • • • وينتهى هذا بقرار من حكومة الانجليز بأن ترسل جيشا انجليزيا ، من جيوشها التى تحتل مصر لينقذ (غردون) من قبضة السودانيين وتصدر الأوامر من لندن فتتحرك قواتهم من مصر الى السودان فى أكتوبر سنة ١٨٨٤

أما عن الخرطوم فقد مضى الحصار قويا تحت قبضة الحاج محمد أبو قرجه حتى قرر (القائد الامام من الابيض) أن يوصل

الحصار الى مداه الأخيرفأمر القائد العام أمير الأمراء محمد النجومى بجيشه الكبير ان يتوجه لاحكام القبضة نهائيا حول الخرطوم ..
وفعلا تحــرك (النجومى) من منطقــة الرهد سريعا حتى وصــل بجيوشه الخرطوم فعسكر من الناحية الجنوبيــة حيث قفل تماما الطــريق على أى داخــل أو خــارج وارســـل فــوراً انذاره الشهير لغردون : ـــ

(اعلم أنى انا ود النجومى ، أمير أمراء جيوش المهدية الملقب بسيف الله المسلول ، وفاتح كردفان والداير ـــ وقــد جئتك الان بجيوش لا طاقة لك بها ـــ ومدافــع لا قدرة لك على احتمالها ، فسلم تسلم ولا تسفك ، دماء العساكر والأهلين بعنادك ـــ والسلام)

وكانت اخبار الحصار وسيره ترسل يوميا (للامام القائد) فى الابيض ، كما كانت أخبار الانذارات التى يوجهونها لغردون ، وردوده عليها تصــل تباعا ـــ كذلك كانت أخبار حصار النيــل ، تصل من (الشيخ محمد خير) ببربر ، وعلى أساس كل هذا رأى المهدى ان الخرطــوم قد دخلت المرحلة النهائيــة فأعلن عن تحركه وكل قواته ، وكل السلاح ، من الابيض الى عاصمة البلد الخرطوم وبدأ الزحف طويلا عظــيما لأكثر من ســتين ألف مقاتل راكبين وراجلين بعتادهم كاملا ، وكان الطريق من الابيض : الذى رأيناه ماحلا قاحلا هجــر الناس فيه قراهم عندما مر به جيش (هكس) كان هذا الطريق نفسه فى افراح متواليــة وهو يستقبل هذه المرة الزحف الوطنى والجيوش السودانية الهائلة ، هللت القرى وخرجت كلها صغيرها والكبير تبايع القائد على الفداء بالمهج والمال والولد تعلن اعتزازها بثورة وطنهــم ـــ فأخــذ الزحف هكذا وقتا طويلا حتى وصل الى مشارف العاصمة الى أم درمان ، الى (أبى سعد) فى أكتوبر سنة ١٨٨٤

وهناك حطت هذه الجموع رحلها ، واقاموا معسكراً ضخما وبدأت انذارات المهدى (لغردون) تحضه على حقن دماء الأبرياء وتصور له كيف أن قضيته خاسرة امام هذا التصميم الوطنى فى كل

مكان فنقرأ للزعيم المهدى فى أحد هذه الانذارات : ـــ

« من العبد المفتقـــر الى الله ، الواثق بما عند الله : محمـــد احمد بن عبد الله ، الى غردون باشا اعلم أنى حضرت بالقرب من أم درمان بجيوشى المنصورة ، واصحابى فى الله : المؤيدين بالنصر من عند الله وكن على يقـــين من انى على علم من حضـــور عساكر الانجليز بجهة دنقلا ، ولكن لست مباليا بهم ولا بغيرهم »

ثم يقول له (فسلم تسلم أنت ومن معك ، وقد نصـــحتك ، وأنصحتك والا فالحرب بعد ذلك والسلام على من اتبع الهدى)

ولكن : ـــ

قد زاد (غردون) صلفا أخبار الحملة الانجـليزية ، واتجاه بلده وملكتها نحوه واعتباره بطـــلا لأنه يقاتل ثواراً يريدون فقط بلدهم حـــراً ... ولذلك فان الرحمـــة التى أبداها الثوار وهم قابضون على الخرطوم من كل شبر حولها ، هذه الرحمـــة رحمة الشجعان الأقوياء القادرين، لم يستطع غردون فهمها ولذلك جرت المفاوضات بين المهـــدى وكبار القادة فى مناطـــق حصارهم ... فقرروا فى اجتماع أخير فى مقر قيادة النجومى (بشجرة ماحوبك) قرروا فى مساء ٢٥ يناير ١٨٨٥ أن يضعوا حداً لصلف (غردون) وأن يأخذوه بالشدة بعد ان لم يســـتطع ان يفهم بالحسنى ورجع (الامام المهدى) الى مقره (بديم ابى سعد) كما رجع حاج محمد أبو قرجه الى مقر قيادته شرق النيل الازرق بعـــد أن اتفقوا على تفاصيل الخطـــة النهائية لاقتحام العاصمة الخرطوم فى فجر اليوم التالى ...

وفى الحال أعدت الجيوش فى اماكنها ـ كل فى موضـــعه ـ واخبر كل الجند بتفاصيل التنفيذ فى فجر الغد فقضوا ذلك الليل كعادتهـــم يكبرون ويهللون ، واثقين مطمأنين ...

وأهل فجر ذلك اليوم ٢٦ يناير سنة ١٨٨٥

وتحركت الجمـــوع فى كل مكان حول الخرطـــوم ـــ وتركز الهجوم الرئيسى حسب الخطـــة الموضوعة على أضعف نقطـــة فى

الحصون وتقع غرب الخرطوم بالقرب من موضع « كبرى النيل الابيض الحالى » وبدأت مدافع الثوار أولا ترسل الحمم على الحصون والموانع ثم تقدمت فرقة من الجهادية ببنادقهم ، نحو تلك النقطة الضعيفة وأصلوها ناراً حامية متواصلة ــ مكنت طوابير المشاة الثوار من اقتحام هذه النقطة ، وما أن دخلوا وراء الحصون حتى تبعتهم موجات متواصلة من الصفوف ــ وهناك فى الداخل التحموا مع الجنود خلف الطوابى والحصون ، ودار قتال عنيف سقط فيه آخر من تبقى من جند وضباط للحكومة التركية ، وجرت دماؤهم فى شوارع الخرطوم ، ومضت صفوف الثوار موجة بعد موجة تحطم ما بقى من أسوار وحصون وتقاتل طريقها الى الداخل فى كل شبر حتى استطاعوا الوصول الى (سراى الحكومة) حيث يوجد الحاكمدار غردون . رمز الحكم الأجنبى فى عاصمة الوطن . . . وتسابق نحوه الثوار وأردوه صريعا تحت أقدامهم وجذبوا رايته الاجنبية من على سراى الحكومة ، والقوها تحت أقدامهم معلنين نهاية حكم الترك للسودان ورفعوا رايتهم الوطنية دليل عهد وطنى جديد . . .

وتم هكذا فى ذلك اليوم انزال أول راية أجنبية عرفتها الخرطوم عاصمة السودان ــ انزلت عنوة عن طريق ثورة الشعب بكل جموعه بكل سحناته ، بكل لهجاته تحت قيادة زعيم بطل من صميم تربة السودان .

قائد مظاهرة طلبة الكلية الحربية المسلحة الشاب الطالب
القائد محمد فضل الله
(أنظر صفحة ٦٥ المظاهرة المسلحة)

الوطن فى حمى القائد

وهكذا بدأت الثورة فى (أبا) فى ذلك الفجر يوم ١٢ اغسطس سنة ١٨٨١ وانتهت بالانتصار الحاسم الكامل فجر يوم ٢٦ يناير ١٨٨٥ أى فى أقل من اربع سنوات تم تحرير وطن بأكمله عن طريق الحرب الوطنية الشاملة ذلك الحكم الذى وطأ ثرى الوطن فى عام ١٨٢١

وهكذا أمكنت مواجهة حكومة الاتراك من اسرة محمد على الذين اخضعوا (مصر) لسيطرتهم ومعهم حلفاؤهم من الانجليز بكل امكانياتهم . ومتى كان ذلك ؟ كان ذلك فى القرن ، الذى يأكل فيه القوى الضعيف فيستكين الضعيف مسلما ، حتى كانت أقطار يسكنها مئات الملايين تحت قبضة هذه الامبراطوريات لا تستطيع فى ذلك الوقت ان تفكر فى التكتل أو الثورة على مستعمريها .

وهنا شعب تعداده فى ذلك الوقت ملايين قليلة وأرضه واسعة يصعب الاتصال بينها ، استطاع هذا الشعب رغم كل شيء وفى هذا القرن قرن الامبراطوريات والاعتراف بالاستعمار والمستعمرات استطاع بعد (٦٤) سنة فقط من استعمار أسرة محمد على أن يتجمع ويكون أقوى وحدة ويكتسح فى اقل من أربع سنوات كل القوات التى تملكها الحكومة الاجنبية الغاصبة وكل المحاولات التى بذلتها الحكومة الانجليزية وكبار ضباطها ويأتى (شبيرشل) (وثيوبولد) (وهولت) (وشقير) من المؤرخين المغرضين الأجانب ويتحدثون عن (دراويش السودان)

والمعجزة الأضخم . . .

كانت وحدة هذه الامة التى كانت شيعا وقبائل ولما اتحدت استطاعت أن تأتى بالمعجزات انصهروا جميعا فى (بوتقة الايمان) ايمان بالله ، ايمان بالوطن ، وايمان بالقائد ــ ومضوا الى الامام

يتحلون بسمات شعبهم الأصيلة فى انكار الذات ، والتواضع والتوادد ، والشجاعة فى حلم ، والاقدام بشرف ، والصدق دائما مع النفس ومع الآخرين ، فصمدوا كالأطواد بعصيهم ، وسيوفهم ، ورماحهم امام كل تلك الاجناس التى أتى بها الاتراك فى جيوشهم الى السودان من أوربيين وبلقانيين ومن شمال افريقيا ، فأعجب بخلقهم حتى المنصفين من اعدائهم فهم قد عاملوا اعداءهم فى (حلم وبشرف) دائما وفى أصعب اللحظات ، لم يتخلوا عن تقاليدهم واخلاقهم .

واتجه الامام القائد بعواطفه نحو جيران بلاده الاصدقاء ؛ فتمنى ان لو لم يقتل (غردون) الانجليزى ، حتى يستطيع ان يفدى به الثائر المصرى (عرابى) الذى حاول ان يقوم هو ايضا بثورة فى (مصر) يحررها من الاستعمار الاجنبى الذى كانت تئن تحته منذ سنين طويلة ، خاصة حكم أسرة محمد على وما جره عليهم من احتلال انجليزى ، ولكن الثائر المصرى ــ لم يستطع فى ذلك الوقت تحرير وطنه فى الشمال ــ كما استطاع الثوار فى الجنوب (فى السودان) تحرير أمتهم ــ ومن هنا فقد اتجه فكر قائد الثورة السودانية الى الجارة (مصر) وثائرها الذى كان معتقلا عند الانجليز اتجه نحوهم وكان يريد أن يفديه بهذا (الانجليزى) الذى وطأته اقدام الثوار فى قصره فى الخرطوم .

ونقل (الامام) المهدى عاصمة القطر الى أم درمان (بقعة المهدى) ونشأت عاصمة وطنية كبيرة عظيمة . . .

ومضى الناس ينعمون بنصرهم الوطنى الضخم ، ويشمون فى سماء وطنهم عبير الحرية ، التى يقدسونها ، وقلوبهم تمتلأ ثقة بالمستقبل وامامهم هذا القائد العظيم .

والقائد ــ ينظم شؤون الدولة الوليدة فينشأ مجلس أمناء (كمجلس للوزراء) على رأسه الخليفة (عبد الله) ليدير شؤون الحكم فى القطر ويولى القضاء لقضاة أكفاء علماء ويكون كتاب الله وسنة رسوله هى دستور الحكم فى البلاد . . .

ولكن القائد وصـــدى الانتصارات يتردد فى الانحاء فى كل مكان يحن الى شىء آخر غير الاحتفال بالنصر العظيم يحن الى (خلوة) الى ربه ، يحن الى أن يجزب نفسه من الجو الجماعى الرائع، الى حيث يواجه ربه وحيداً متأملا بعيداً عن ضجيج الحياة فقد شغلت السـنين الاربع التى مضت كل وقته مقاتلا ومفكراً ومخطـطا ، ومناقشا وقائداً عمل دائب لا راحة فيـه من أجل الحق والعـدل والشرف ، والآن وقد مكنه الله من أعـدائه بكل هذه الروعة فهو يحن للقاء عبد شاكر لمولاه • • •

ويخلو الامام بنفسه ــ تاركا شؤون الدولة لخلفائه والقضاة وللقادة وأمراء الجيوش • • •

وتشاء ارادة الله أن تفقد الامة هذا الزعيم فى هـذه المرحلة التى هى أحوج ما تكون فيها لشخصيته التى كانت عاملا أساسيا فى تجمع هذا الشعب وفى وحدته المعجزة

ففى ضحـى يـوم (٢٢ يونيو سـنة ١٨٨٥) توفى القائد البطل على اثر حمى لم تمهله طويلا

وبكى السودان قائد عصره فى أمته بكوه بدماء القلوب • • ذلك الذى أشعل أخلد جذوة فى قلوب مواطنيه وبقى فى تاريخهم الرمز المشترك لكل أجيال الامة التى تركها قوية مجتمعـة كأقوى ما تكون أمة ، وكأصرم ما تكون وحدة وطنية •

بقى فى تاريخ أمتـه بطلهـم الأول الذى خاض بحـاراً من الاعمـال البطولية الخـارقة ووراءه كل الوطن فى وقت كانت فيه الشعوب والامم من حولنا وفى كل مكان ترزح تحت النفوذ والحكم الاجنبى مسـلمة بأن عصرها ذاك هو عصر الغلبة للامبراطوريات والدول الاوربية فكانت الثورات ضـد المستعمرين شىء لم تعرفه الشعوب المستضعفـة ــ فى ذلك العصر قاد البطـل السـودانى ثورته ضد أول استعمار أجنبى منظم عرفته بلادنا فاتضحت منذ اللحظـات الاولى لكـل الدنيـا الخصـائص العظمـى لهـذا الشعب الذى لم تخفه سطوات العصر ولم يقعده ضعف امكانياته

المادية وتسلحه وانما التف حول الرجل البطل من أبنائه فتحول كل (رجل بالغ) الى جنـدى مقـاتل فى الصف الاول حتى اكتسحوا فى أقـل من أربع سـنوات قوات أسرة محمد على التركية الغازية وقوات الامبراطـورية البريطانيـة صاحبة النفوذ على (مصر) وحكامهـا فى ذلك الوقت ورفعوا فى وطنهم رايات الحرية بعد أن داسـوا بأقدامهم أعـلام الحكم الاجنبى وجندلـوا (غردون) المغتر ، رمز الحـكم الانجليزى التركى صـريعا تطأه الاقـدام ولم يغتر (القائد البطل) بالنصر المعجز على أحدث الاسلحة وأقوى الامكانيات أنما مضى كما كان بسمات السـودانى الاصيل رجلا بسيطاً بين رجاله ومواطنيه يأكل مما يأكلون ويعيش حيث يعيشون ولا يفكر الا فى المزيد من التقشـف . فيعزل نفسـه بمجـرد الانتصار المسلح وجـلاء الاستعمار يعزل نفسـه الى خلوة وحده مع ربه بعيدا عن كل مظاهر الحياة المـادية ليبـدأ نوعا أعظم من الجهاد ، عرفه وبلاه طويلا . . .

هذا هو بطلنا الزعيم ـ ذلك الخالد أبدا فى قلوب أجيال امته
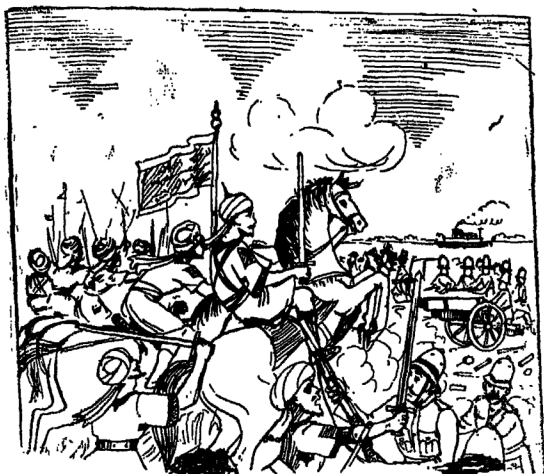
كررى ـ صف اثر صف ، لا تراجع ولا انخذال من اجل هذا السودان

كرري ... ٢ سبتمبر ١٨٩٨

فى تاريخ كل الامم ـ معارك هى دليل الحركة فى شعوبها معارك ضد الغزاة الطامعين ولا يهم نتائج المعركة عسكريادائماانما المهم أن يقاتل الشعب أعداءه ويستمر فى طريق النضال تهبه كل هزيمة قوة جديدة على مواصلة الكفاح .....

ولذلك فهناك معارك خسرت نتيجتها الشعوب ـ ولكنها تعتبرها أقوى معاركها وأهمها . تماما كما حصل فى هذا العصر لانجلترا عندما شدد عليهم (هتلر) النكير فى الحرب العالمية الاخيرة فقد طاردت قوات (هتلر) القوات الانجليزية التى كانت فى أوربا فى الدنمارك وبلجيكا وغيرها ـ وحصرتها فى منطقة (دنكرك) فى الجزء الاوربى من القنال الانجليزى وهناك دارت معركة هائلة هزم فيها الانجليز تماما وانسحبوا ، ولكنهم رغم انتصارهم أخيراً فى هذه الحرب العالمية اعتبروا (دنكرك) هذه أهم معاركهم التى يفخرون بها ، لانهم اعتبروا انهزامهم وانسحابهم كان انهزاما بشرف بعد أن صبروا وتجلدوا وقد فتح أعينهم للنقص فى استعدادهم الحربى ..

ونحن قد رأينا فى تاريخنا فى هذه الفترة التى تتحدث عنها فترة الثورة بقيادة الزعيم « محمد أحمد المهدى » كيف أن أمتنا انتقلت باستمرار من نصر الى نصر دون أن تلحقها أى هزيمة عسكرية حتى توجت انتصارها بدخول العاصمة وانزال العلم الاجنبى ورفع الراية الوطنية ايذانا بانتهاء عهد الحكم الاجنبى الذى دخل مغتصبا بحد السلاح فأخرجه الثوار أيضا عن طريق الحرب الهائلة طريق السلاح ، ومضت الامة لم تعرف الهزيمة أبداً ، وهى وراء قائدها الزعيم ـ حتى توفاه الله ...

وتسلم الرسالة الوطنية ، بعد ذلك خليفة (الزعيم) الاول الخليفه عبد الله بن الشيخ محمد ومضى مع مجلس الامناء وكبار

القـادة ينظم الحكم الوطنى فى العاصمـة وفى الاقاليم ـــ ولكن القوى الضخمـة التى أخرجـوهـا بتلك الصورة التى رأينـاها من أرض وطننـا فى أقل من أربع سنوات بعـد ان دمرت قواتها وسحق رجالهـا وقادتها من اتراك وانجليز فى كل منطقة من بقاع السـودان الواسـع الكبير هل ترضى هـذه القوى كلها بهذه الهزيمة الشـنيعة وهى فى عصر سلطانها على أمم كثيرة وشـعوب تعـد بمئات الملايـين ؟!!

الامبراطورية البريطانيـة التى كانت الشمس لا تغيب أبدا على مناطق سلطانها الواسـع العريض هـل تسكت على اللطمة الكبرى عندما سقط جنرالها المتعجرف تحت أقدام الثوار فى قلب الخرطوم وعجزت قواتهـا وهيلمانها من انتشـاله وانقـاذه رغم صيحات برلمانهم الانجليزى وصحافتهم الانجليزية ؟ لا ... ...

لم تسكت بريطانيا وانما حقدت على هذا الشعب وصممت على الثأر بكل امكانياتها وصدرت الأوامر من لندن الى الجيوش الانجليزية التى كانت تحتل (مصر) بالاستعداد لغزو (السودان) وبدأت الجيوش الامبراطورية تفـد من كل مكان الى (مصـر) تستعد لغزو السودان الذى تحرر وحكمه ابناؤه . . .

وبعد ١١ عاما من حكم وطنى سودانى ودولة وطنـية كاملة وفى ديسمبر سنة ١٨٩٦ بدأت تحركات الجيوش الانجليزية أكثر من ٣٠ الف جندى يتسـلحون بالمدافع الثقيـلة الحـديثة ، والقنابل ، والمكسيمات ، والبنادق وتحملهم بواخر نيلية وتتبعهـم كل امكانيات (الاسرة) التى تحكم (مصر) من عتاد وغذاء وكامل العدة وأخذوا يصلون الى شمال وطنـنا من (مصر) بالدئين بحلفا فى أقصى الشمال . . . يسيرون على النهر ـــ وبالبر .

وبدأت اخبار غـزوهم ، تصـل الى القادة السـودانيين فى الخرطوم ، الذين كانوا قد انصرفوا بعد معارك التحرير الى تنظيم شؤون وطنهم بعد مظالم الاتراك وعبثهم . . . وبدأوا يستعدون لدخول المعارك من جديد فداءاً وذوداً عن حمى وطنهم ـــ

وكان الوضع الجديد لهذه الحرب بالنسبة للجبهة السودانية هو انهم بعد ما حرروا وطنهم رحل كل رجل وكل جماعة الى منطقتهم من السودان ليزاولوا أعمالهم فى الزراعة والتجارة بعد ان انقطعوا عنها كل سنين الكفاح ، ولكن رسائل مستعجلة من (الخليفة) تصلهم تعلن اليهم الغزو الجديد ، وتجمع الاعداء حول وطننا (الذى تحرر) من كل صوب فكان عليهم ان يبدأوا مرة أخرى كفاحا جديداً (ولكن) بغياب ـ البطل الملهم ذلك الذى طالما ملأ القلوب بروحه المؤمن المشرق ـ وبدأوا يتجمعون من كل فج مرة أخرى فى عاصمة وطنهم ...

وفى مايو سنة ١٨٩٧ وصل الغزاة الانجليز والاتراك بجيوشهم الضخمة الى بلدة (عكاشة) جنوب حلفا وتصدت لهم الحامية السودانية الموجودة هنالك فى أول اشتباك فأوقفت زحفهم ـ ولكنهم تمكنوا بعد أيام من الزحف حتى وصلوا بلدة (فركه) بالقرب من (كرمه النزل) وهنالك أيضا دارت معركة حامية قاتلت فيها (فركه) بشجاعة حتى النهاية ... وكان هذا الجيش الضخم لا يستطيع السير داخل الأراضى السودانية الا بصعوبة كبيرة ومقاومة مستمرة ومضت عليهم شهور وشهور وهم فى طريقهم الى داخل السودان ـ حتى أبريل سنة ١٨٩٨ حينما تصدى لهم أول جيش كبير بعث به (الخليفة) من العاصمة ليوقف تقدمهم ـ

وكان هذا الجيش بقيادة القائد السودانى الشاب (محمود ود احمد) وقد التقى فى بلدة (المتمة) بالقائد « عثمان دقنه » فاتحدت القوتان بقيادة محمود ود احمد .

وفى يوم ٦ أبريل سنة ١٨٩٨ وفى بلدة (النخيلة) بقرب عطبرة التحمت القوات السودانية ضد قوات الغزو الاجنبية فى معركة هائلة استمرت أربعة أيام كاملة . تأرجحت فيها كفة الفوز بين الفريقين وبرز « محمود ود احمد » « وعثمان دقنه » رجال مرستهم المعارك التى خاضوها قبل الآن تحت قيادة زعيمهم الراحل فقاتلوا هنا كأبطال تعودوا على النصر دائما فى معاركهم ضد هؤلاء

الترك واسيادهم الانجليز ولم ييأسوا من النصر طيلة الاربعة أيام ــ رغم ان الجيش الغازى كان أكثر منهم عدداً ــ وكان أقوى بكثير جداً منهم فى أسلحته وعتاده ــ واخيراً تمكن الغزاة من (أسر) القائد السوداني (محمود ود احمد) وانتهت معركة (عطبره) لصالحهم ولم يبق للسوادنيين الا ان يتجمعوا فى قوة واحدة تقاتل هؤلاء الغزاة ــ

وفعلا تجمعت القوات السودانية فى العاصمة (أم درمان) تحت قيادة الخليفة نفسه وتحركت فى مساء أول سبتمبر سنة ١٨٩٨ وعسكرت شمال أم درمان فى (كررى) وكانت (بواخر) الجيوش الغازية قد وصلت على النيل ، ونزلوا فى تلك المنطقة بقيادة الانجليزى (كتشنر) ونصبوا مدافعهم الضخمة واسلحتهم (الاتوماتيكية) ووقفوا خلفها فى نصف دائرة واخذ قائدهم (منظاره المكبر) وأخذ يشاهد زحف الجيوش السودانية نحوهم يتقدمها كبار القادة وراء الخليفة ...

وفى صباح ٢ سبتمبر سنة ١٨٩٨ دارت فى كررى معركة هائلة ضخمة ، بدأتها مدافع الاعداء الضخمة تهدر فتقذف الحمم قنابلها على صفوف المقاتلة السودانيين الذين هدرت جموعهم بالتكبير وارتفعت راياتهم الى العلا وانطلقت خيلهم متقدمة نحو القذائف والحمم وبدأت صفوفهم تهجم متقدمة صف وراء صف والاعداء تهدر مدافعهم وتنطلق الحمم تحصد الهاجمين نحوهم صفا بعد صف ولكن الصفوف لا تتراجع ولا تتخذل . معركة تقابل فيها المدافع والآلات الحديثة رجال يفهمون الحرب على انها قتال الرجل للرجل ببطولة و شرف ــ ولكن اعداءهم فى هذه المعركة اختفوا وراء آلات الحرب التى صنعوها ووقفوا بعيداً عن ايدى الاقوياء السمر الذين رأوهم كأسود يهجمون ويهجمون صفا بعد صف فهالهم منهم هذا الذى لم يروه فى حياتهم من ايمان وتصميم وانتهت كررى بنصر للغزاة فى معركة غير متكافئة أظهر فيها المقاتلة السودانيون بطولات تحدثت عنها (صحافة) أوربا كثيراً وسقط منهم بشرف

آلاف الشهداء ومنهم أخو الخليفة الأمير يعقوب والأمير ابراهيم الخليل ..

وانسحب الخليفة عبد الله وولده شيخ الدين والخليفة على ود حلو والأمير القائد عثمان دقنه الى امدرمان ومنها الى غرب السودان حتى يجمعوا من جديد جيوشهم فى الارض التى شهدت دائما انتصاراتهم .

ولكن القوة الغازية المتسلحة بأحدث ما عرف العالم فى ذلك الوقت من أنواع السلاح استطاعت أن تقهر كل المقاومة الوطنية بتفوقها الهائل فى السلاح فقتل الخليفة ببلدة (أم دبيكرات) فى نوفمبر سنة ١٨٩٩ والى جانبه حتى النهاية، كبار القادةالسودانيين على ود حلو وشيخ الدين واحمد فضيل وغيرهم بعد أن قاتلوا وصمموا على الموت قبل أن يروا الراية الاجنبية ترفرف مرة ثانية على ربوع وطنهم وقتل أيضا فى أغسطس سنة ١٨٩٩ ببلدة الشكابه الخليفه شريف وولدا الزعيم المهدى الكبيران وهما (الفاضل وبشرى) كما أسر القائد عثمان دقنه فى شرق السودان .

وهكذا انتهت مرحلة الحكم الوطنى تحت أطماع الغزاة الحاقدين ورفعوا رآياتهم مرة أخرى على حطام « سراى غردون » على نفس تلك السارية وارتفعت فى سماء عاصمتنا للمرة الثانية راية أجنبية بعد ثلاثة عشر عاما من انتصار الثورة واستقلال الوطن ودنس أرض وطننا حكم انجليزى بمساعدة أسرة محمد على التى كانت تحكم مصر .

فكيف مضت حياة وطننا تحت الراية الاجنبية مرة أخرى !!!

هل أستكانوا لبطر الامبراطورية الضخمة ، وسلموا بالهزيمة ورضوا بالاستعمار الذى استكانت له شعوب وأمم كثيرة فى ذلك الوقت فى قارتى آسيا وأفريقيا وحتى فى أوربا نفسها ؟ .. كلا ..

لم يستكن شعبا ولم يذل ـــ وكيف يستكن أو يذل أبناء

قائد معركة (عطبره) الشاب محمود ود احمد ، قاتل ، وقاتل ، وقاتل
الترك والانجليز ، تعود النصر عليهم طيلة سنى شبابه

وأحفاد الرجال الذين حققوا بحد السيف لأمتهم الحرية والانتصارات فى أحلك الظروف ؟

كيف يستكين أبناء وأحفاد المنتصرين فى تقلى ، وقدير ، وأبا ، وشيكان ، والخرطوم ؟

أبناء وأحفاد الشهداء على كررى — كيف يهنون أو يستكنون ولكن القوة الاجنبية الجديدة كانت قد استفادت من تجربتها مع شعبنا فى تلك المعارك المريرة التى رأوها بأعينهم — فأخذوا يحكمون بأساليب جديدة وتكتيك جديد —

كما وان العصر نفسه بدأ يتغير ، زادت أطماع الدول الكبرى وزادت شراهتها ، فأخذت تتنازع الدول الصغيرة فيما بينها فنجم العداء بينهم على تقسيم الاسلاب حتى وقفوا هم أنفسهم وجها لوجه يتقاتلون ، فاستفادت الشعوب المستعمرة من كل ذلك ..

واستفاد شعبنا من ذلك كله ، وهو يجمع صفوفه استعدادا للمعركة من جديد ..

وبعد ٢٣ عاما فقط — من ارتفاع الراية الاجنبية فى سماء وطننا بدأت المقاومة السوداتية من جديد ، وسارت فى طريقها كما سارت قبل ذلك فى المراحل الماضية التى رأيناها حتى تحقق النصر من جديد فانزلت الراية الأجنبية وخرجت جيوش الغزو التى واجهها أبطالنا وقاتلوها حتى النهاية ...

فكيف اذن بدأ الكفاح الوطنى الجديد ، وكيف سار باسلوبه الجديد ، حتى أنزلت الراية الاجنبية وطردت الجيوش الغازية تماما كما فعل الآباء والاجداد فى ذلك اليوم فى ٢٦ يناير سنة ١٨٨٥ ؟

تنظيم المقاومه السودانيه من جديد سنه ١٩٢٢م
بداية الكفاح الوطنى السودانى الجديد

ولكن مـاذا حدث منذ دخلت الجيوش الاجنبيـة الخرطوم بعد كررى وحتى بداية الكفاح المنظم فى هذا العام ١٩٢٢ ؟
فى الجزيرة فى سنـة ١٩٠٨ قامت ثورة قوية ضـد الحكم الاجنبى وثأرا لابطالنا شهداء كررى ، قادها المواطن السـودانى الشيخ عبد القادر ود حبوبه ، الذى كان قبـل ذلك ضمن المقاتلين فى المعـارك التى ذكرناها « كلها » واستطـاع أن يقتل من القوة التى أرسلتها اليه الحكومـة ضابطان انجليزيان و٣ مصريين و٣٥ اجنديا ، وقتل من الثوار السودانيين « ١٢٠ » رجـلا وأسر أخيراً قائد الثورة نفسـه وأعدموه ، وقبله استقل على دينـار بدارفور كلها ولم تستطع الحكومة اخضاعه
وقبل هذا قامت ثورات مثل هـذه فى تقلى ـ وفى سنجه ـ وفى جبـل الداير ـ وفى تلـودى سـنة ١٩٠٦ حيـث قتـل مـأمـور المركـز ثم قائـد الاورطـه التى أرسـلت اليهـم و٣٥ جنديا من أورطته ..

وفى مركز كادقلـى قامت ثورة وفى جنوب السـودان أيضا قام النوير والشـلك بحركات عصيـان وثورة ـ وهكذا فى كل مكـان من أرض السـودان لم يرض الناس أبدا أذلة بالحكـم الاجنبى وأنما كانوا دائمـا وفى كل محل يقاومون ، كل بطريقته وبأسلوبه ولكن فى منتصف عـام ١٩٢٢ تم تنظيم وطنى لهـذه المقاومة بقيـادة دم سودانى جديد ، وبواسطـة شباب سودانيين تلقوا تعليما فى المدارس فاستفادوا من هـذا التعليم فى معرفـة أسـاليب الكفـاح الوطنى الذى يناسب عصرهم ويناسب القوة الضخمة الكاملة السلاح التى تحتل وطنهم .

فكان ميلاد (جمعية الاتحاد السودانى) : ـــ

١) جمعية الاتحاد السودانى :ـ

هى تنظيم وطنى من الشباب السودانى الذى تلقى تعليما فى المدارس وصـــمموا على تحرير وطنهم • متحـــدين فى الكفاح مع المخلصـــين من المصريين الذين كانوا أيضا يريدون تحرير وطنهم (مصر) من الانجـــليز ومن حكم أسرة (محمـــد على) التركيـــة (الالبانيـــة)

وكان المجلس الاعلى لهذه الجمعية يتكون من ، عبيد حاج الأمين ـــ ومجموعة أخرى كبيرة من الشباب ، نظموا جمعيتهم فى شكل حلقات سرية كل حلقة بها عشرة أعضاء وأخـــذوا يكتبون المنشورات يحضون مواطنيهم على الثورة من جـــديد على الحكم الاجنبى ويعلنون اليهـــم بداية الكفاح الوطنى الجـــديد وألتف المواطنون حول هذه (الجمعية) وقادتها استعدادا للكفاح وأعلنوا بعد ذلك ان الكفاح سيكون (علنيا) وليس بسر ، وستقوده جمعية جديدة اسمها « اللواء الابيض »

٢) اللواء الابيض:ـ

وهذه الجمعيـــة الجديدة كان شـــعارها علما أبيضا يحمله الاعضاء الوطنيون ولذلك سميت « باللواء الابيض » وايضا كان من قادتها (عبيد حاج الامين) وضابط ســـودانى ثائر هو « على عبد اللطيـــف » ومجموعـــة أخـــرى من مختلف طوائف الشعب الســـودانى

وفى ١٩ يوليو سنة١٩٢٤ خرجت أول مظاهرة سودانية وطنية بقيادة جمعية اللواء الابيض تهتف بالحرية للوطن ، وبالثورة ضد الاعـــداء وكان يقـــود الهتاف (الشيـــخ عمر دفع الله) وهاجمت

الحكومة المظاهرة .. وكانت هذه هي البداية ..

الشـرارة الاولى وبعدهـا لم يمض يـوم دون كفـاح أو مظاهرات ومعتقلون فقـد كونت « اللواء الابيض » فروعاً لها فى مدن السودان كلها فى بورتسـودان وفى عطبره وفى الابيض وفى مدنى وفى كسـلا وفى ملكال وفى الخرطـوم وفى أمدرمان وفى كل مدينـة بالسودان تكون فرع للمنظمة الوطنيـة ـ لتنظيم كفاح المواطنـين عن طريق الاسلوب الوحيـد الممكن فى هـذه الفترة (المظاهرات) الوطنية فخرجت فى كل مدينة فى السـودان مظاهرة ضخمة يقودهـا أعضاء جمعية اللواء الابيض بالمدن السودانيـة وكانت « التلغرافات » فى هـذا الوقت قـد صارت فى كل مدينة وكان موظفو « التلغراف » السودانيـين ينقلون تعليمات الجمعية من رئاستها فى الخرطوم الى كل مدينـة فى السـودان ؛ وينقلون كذلك ـ بالتلغرافات ـ أخبار المظاهرات الضخمة ، والاعتقـالات من مدينة الى مدينـة حتى تحول السودان كله الى جحيم يشتعل فى كل مكان ـ فجن الانجليز ـ وصمموا على مقاومة الثورة التى بدأت تشتعـل فهجموا على رئاسة الجمعيـة بالخرطوم واعتقلوا الزعمـاء « على عبد اللطيف وعبيد الحاج الامـين » وكل القادة الآخرين كما أرسلوا الى المديرين والمفتشين فى المراكز والمديريات ليعتقلوا زعماء هذه الجمعية فى فروع المدن السودانية ويرسلوهم الى الخرطوم ـ وحوكموا جميعا بالسجن ـ وكانت كل دفعة من هؤلاء القادة تعتقل يودعها الرجال بالهـتاف والنساء (بالزغاريد) ويقابلونهم فى كل محطة بالهتاف ، والحماس الوطنى حتى يصلوا الى الخرطوم ـ وهكذا حتى أمتـلأ سـجن « كوبر » عن آخره بهؤلاء القادة من كل مدن السودان ، وكان أكثرهم فى مدة العقوبة بالسجن قادة رئاسة الجمعيـة وخاصة « على عبد اللطيف » فمن هو هذا الوطنى السودانى ؟

على عبد اللطيف : ـ

ولد هذا البطل فى مدينة حلفا سنة ١٨٩٢ ثم حضر مع والده الى الخرطوم وأدخل المدرســة الابتدائية ثم أدخل الكلية الحربية وتخرج منهــا ضابطا سودانيا ســنة ١٩١٧ وكان طويلا ، أسمر اللون ـ حازما دائما عرفه مواطنوه بالشجاعة وعزة النفس ، ومنذ بدأ العمل ، أخذ يصطدم بالانجـليز هؤلاء الغزاة المتكبرين وشعر الانجليز بالعزيمة القوية فى هذا الضابط الشاب الذى أصطدم مع الضباط والرؤساء من الانجليز فى كل محل عمل فيه وفى مايو سنة ١٩٢٢ كتب منشوراً بنفسه وزعه على مواطنيــه يذكرهم بعجرفة هؤلاء الغزاة ، ويذكرهم بحق الوطن على أبنائه فى الثورة والكفاح فاعتقلته الحكومة فوراً والقى فى السجن حتى أبريل سنة ١٩٢٣ حيث خرج وتفرغ منذ تلك اللحظة للكفاح الوطنى كقائد لجمعية « اللــواء الابيض » مع زمــلائه القادة الوطنيين ، وعندما تولت هذه الجمعية قيادة الكفاح الوطنى فى كل القطر ، وهبت كل المدن السودانية فى مظاهراتها الضخمة ، معلنة الثورة وعندما فشلت كل محاولات الانجليز فى اخماد الثورات حتى بعــد أن إعتقلوا قادة الجمعيــة فى المدن الســودانيــة عند ذلك . اعتقــل القــادة فى الخرطوم ومنهم ـ على عبد اللطيف ـ الذى حكم عليه فى يوليو سنة ١٩٢٤ بالسجن لمــدة ثلاثة سنوات ـ ومنذ ذلك اليوم ـ لم يخــرج على عبد اللطيف من السجن ـ أبــداً ـ لأن المظاهرات لم تتوقف وانما تطــورت الى ثورات كاملة ، واســتمر الانجــليز يعتقلون ويعتقلون ، وقد أصابهم الفزع والجنون وفى سنة ١٩٣٨ أخــذ على عبد اللطيف للعــلاج فى « مصر » وتوفى هــذا البطل الســودانى بمصر فى يوم ١٩ أكتوبر سنة ١٩٤٨ ـ بعــد أن أدى دوره البطولى فى تاريــخ وطنــه فالشعلة التى ســاهم فى ايقادها لم تمت أبدا حتى تحقق النصر من جديد ... كما سنرى .
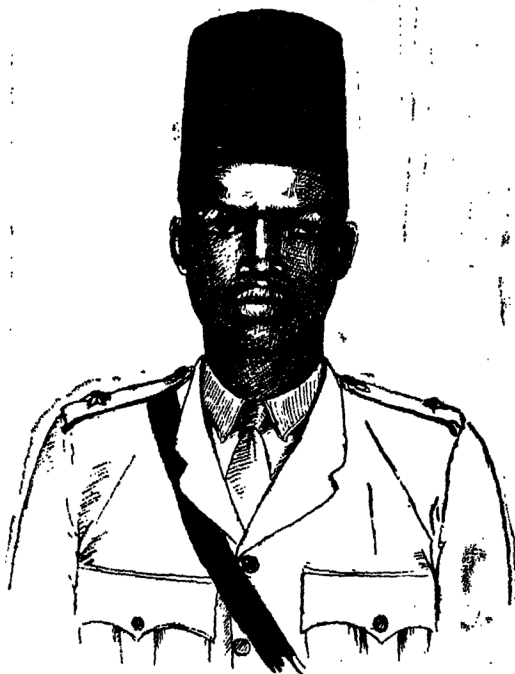
« على عبد اللطيف » رئيس جمعية اللواء الأبيض الوطنـــية

٣) المظاهرة السودانية المسلحة :ـ

أغسطس سنة ١٩٢٤

وهكذا عمت روح الثورة فى تنظيم كامل ربوع وطننا ـ فلمعت فى عيون السودانيين فى كل مكان بوادر الثورة ـ وزاد غليان مشاعرهم البطش الذى قابل به الانجليز المظاهرات فى كل المدن واعتقالهم للقادة بالمئات فى كل مكان وارسالهم بالقطارات وغيرها الى سجن كوبر ـ والمعاملة السيئة التى كانوا يعاملون بها من الانجليز وهم فى داخل السجن فى « كوبر » ... وعمت روح الثورة الوطنية كل مكان وشعروا بأن مرحلة أخرى جديدة من الكفاح المسلح لا بد أن تبدأ حتى تقابل معاملة الاستعماريين بما يستحقون وفعلا استجاب شباب الجيش السودانى لنداء وطنهم ـ

ففى الساعة السادسة والنصف صباح يوم ٩ أغسطس سنة ١٩٢٤ خرجت أول مظاهرة سودانية مسلحة من طلبة الكلية الحربية بالسودان خرج طلاب الكلية الحربية جميعا ـ يلبس كل منهم زيه العسكرى كاملا ـ ويحمل بندقيته وخمسين «طلقه» ويسيرون فى صفوف عسكرية منظمة ، وفى طابور كامل ، يرددون الاناشيد الوطنية ويشدون خطواتهم فى قوة وتصميم ، وأمامهم قائدهم شاب ، أسمر قوى الملامح ثابت الجنان اسمه « محمد فضل الله » يردد النداءات على الطابور بصوته العسكرى الضخم فيرفع الشباب رؤوسهم فى عزة وتصميم ، والناس فى كل محل ، الرجال والنساء والاطفال يلتقون حولهم ، هاتفين ملأ الحماس الوطنى قلوبهم حتى فاض وأرتفع الهتاف داويا بحياة وطننا وسقوط الخونة الاستعماريين هؤلاء هم من جديد أبناء الرجال الذين ظنهم الانجليز قد سكتوا الى الابد هؤلاء هم من جديد يلبسون هذه المرة أزياء عسكرية كما يلبس الانجليز ويتسلحون

هذه المرة بنفس نوع سلاح الانجليز ، فهل يستطيعون مواجهة هذا الجيل أيضا من ابناء هـذا الوطن ؟

ومضت المظاهرة المسلحة فى طريقها بالقـوة ، بالعـزم ، بالتصميم والاهل السمر من حولهم حتى وصلوا محطة السكة حديد ــ فى الخرطوم ــ هناك كانت قطارات كثيرة تستعد لمبارحة الخرطوم الى مختلف مدن السودان وأراد الطلبة الحربيون أن يرى المسافرون بأعينهم (الثورة المسلحـة) ويحملوا البشرى الى كل المدن حتى يعرفوا أن الكفاح الذى بدأوه بمظاهراتهم قد اتخذ الآن شكله الجديد تحميـه عزيمة شبابهم بقوة السلاح ــ وبعد ذلك واصلت المظاهرة المسلحة السير العسكرى وأناشيدها ونداءاتها تملأ الخرطوم بروح بعث جديد ، واتجهوا الى منزل الزعيم المعتقل « على عبد اللطيف » وهناك صاح القائد (محمد فضل الله) هاتفا بحياة الوطن ، وحياة القادة الوطنيين ، وحياة على عبد اللطيف القائد الوطنى فكانت تلك هى لحظة التقـاء الكفاح المدنى والعسكرى ضد الغزاة المستعمرين وردد الشبـاب الهتاف وراء قائدهم للوطن وللزعماء وللزعيم على عبد اللطيف .

وهنا خرجت اليهم زوجة الزعيم المعتقل . وهى رابطة الجأش رافعة رأسها . فملا الحماس وتدفقت الدماء حارة فى عروق الشباب وأدوا التحية العسكرية لحرم الزعيم الوطنى المكافح ــ والناس فى كل محل يهتفون من الاعماق ، والحماس طغى فملك أفئدة الرجال والنساء ــ

والمظاهرة المسلحة ، واصلت سيرها الى الامام ، فى طابورهم القوى المنيع وخطواتهم الجبارة حتى وصلوا « الى مكان ما » فى قلب الخرطوم وهناك كان الانجليز قـد اعدوا خطة للغدر بهم فاختبئوا بجنودهم وراء بعض المبانى ــ وفجأة خرج الانجليزى (بيلى) وأمر الشـاب السودانى القائد « محمد فضل الله » بأن يرجع بالطابور الى كليتهم الحربية .

وهنا تنبه الشاب قائد المظاهرة ، للقوات التى خبأها الانجليز

فكان رده هو : أن أمر الطلاب الحربيين باتخاذ تشكيل عسكرى « خاص » وفى لحظة كان كل طالب بسلاحه فى موضع خاص من المكان فى أتم استعداد للمعركة فبهت الانجليزى ، مما رأى ، وتنازل ، فطلب من « محمد فضل الله » أن يذهبوا الى أى محل يريدون فأخبره القائد بأنهم لن يطلقوا الرصاص الا اذا حاول أحد أن يعترض طريقهم • فهم يريدون ان يعبروا الان بمظاهرتهم المسلحة عن أمانى وطنهم فى الحرية والاستقلال وعن اشتراك الجيش السودانى فى الكفاح الوطنى جنبا الى جنب مع مواطنيهم المعتقلين الان داخل السجون

وأسرع الانجليزى الى الحاكم العام يخبره بالامر ـ وأزاحوا « كركون » السراية عن مكانه حتى لا يشير منظرهم حمية الطلبة الحربيين السودانيين عند مرورهم بجانب سراى الحاكم العام •••

ومضت المظاهرة ـ كما كانت بنفس القوة ـ ترتفع أناشيدهم الوطنية الى عنان السماء ومروا من أمام سراى الحاكم العام ووقفوا قبالتها وهتفوا قويا بسقوط الانجليز والحاكم العام والحكم الأجنبى الغادر وهتفوا أيضا بحياة الوطن وحياة الزعماء الوطنيين وهتفوا بحياة الزعيم المعتقل على عبد اللطيف، فلم تتحرك أى قوة انجليزية أو غيرها لتحاول اعتراضهم أو مقاطعتهم ولم يظهر بعد ذلك أمامهم أى أثر للحكام او جيشهم ـ ولذلك واصلوا سيرهم بشاطىء النيل فى طابورهم المنتصر حتى عبروا كبرى الخرطوم بحرى ومن هناك اتجهوا الى مركز الخرطوم بحرى فهتفوا أيضا بسقوط المستعمرين الغزاة وبحياة أبطالنا وقادة كفاحنا الوطنى ولما لم يحاول أى انسان الظهور أمامهم من الحكومة وجيشها ـ مضوا أيضا فى طريقهم بحماسهم وعزمهم وحولهم مواطنوهم شرقا : الى (كوبر) حيث الزعماء الوطنيون ، وكانت الاخبار قد سبقتهم الى هناك فوقف المعتقلون الوطنيون من داخل أسوار كوبر

وهدير المتظاهرين يصل اليهم فتفيض عيونهم بالدمع ـ اعتزازا بوطنهم وبشباب أمتهم الذى لم يخذل كفاحهم ثم علت أصواتهم من وراء الاسوار يهتفون « للسودان » بالحياة ولاعدائه (بالموت) حتى وصل الطابور العسكرى الهادر فالتف بأسوار كوبر يهتف من الاعماق للقادة داخل الاسوار وللوطن ثم أدوا التحية العسكرية مرة أخرى لعلى عبد اللطيف وزملائه من قادة « اللواء الابيض » المعتقلين ....

وأدت المظاهرة أغراضها كاملة بعد أن افسحت لنفسها الطريق كما أرادت بقوة السلاح ومضوا فى طريقهم عائدين الى كليتهم الحربية ....

وهنالك وجدوا أن المخازن قد جردت من السلاح والذخيرة وبمجرد دخولهم شعروا (بكردون) من الجيش الانجليزى يحيط بالمدرسة وانبطح جند الانجليز على الارض استعداداً للمعركة فأصدر الشاب القائد أوامره السريعة لزملائه فما كان منهم الا أن أتخذوا أيضا مواقع استراتيجية فى داخل المدرسة وأقاموا من الشبابيك وغيرها « موانع » وضعوا عليها بنادقهم وصوبوها نحو جند الانجليز الملتفين بالمدرسة ولكن الانجليز أيضا لم يواجهوا القوة المسلحة وأنما لجأوا لطرق أخرى بعد أن تبينوا وعورة طريق مواجهة هذا الشباب واستغل الانجليز ناحية رائعة فى الخلق السودانى ـ عرفوها من خلال احتكاكهم بهذا الشعب وهى ناحية ـ امتثالهم لكبار السن من أهلهم ـ وايمانهم باحترام الوساطة الخيره ومن هنا فقد « وسطوا » لهؤلاء الطلاب بعض السودانيين من كبار الضباط وغيرهم ودارت المفاوضات فاشترط هؤلاء الثائرون ، ان تنسحب أولا كل القوة الانجليزية المحيطة بكليتهم ـ وتم ذلك فى الحال ـ وانسحب جند الانجليز واعطوا وعوداً للطلبة فقبل هؤلاء الطلاب ـ أخيراً أن يسلموا سلاحهم لصول مدرستهم ـ ولكن ما أن تم تسليم السلاح ، حتى رجعت القوة الانجليزية من جديد وبدأوا فى اليوم التالى

باعتقال هؤلاء الثائرين فوضعوهم فى ثلاثة وابورات على النيل تواجه معسكر الجيش الانجليزى فى الخرطوم ، وألقوا على أيديهم « الكلابش » أما قادتهم « محمد فضل الله » وسته آخرون فقد حوكموا بالسجن (الشديد) وأرسلوا الى المعتقلات وكانت مدة السجن « ثمانية » سنوات لكل واحد من هؤلاء غير المدة الطويلة التى بقوها فى « الوابورات » على النيل وعليهم الحديد ، وحولهم الحراسة القوية .

ولكن هذه المظاهرة المسلحة انتقلت أخبارها الى كل محل فى أرض الوطن السودانى فزادت النار أشتعالا فتجددت مظاهرات المدن السودانية وبدا واضحا أن الثورة الشعبية فى السودان قد أشتعلت

ثم أتى دور الوحدات العسكرية من القوات السودانية فقامت يوم ٢١ سبتمبر سنة ١٩٢٤ الاورطه السودانية الثانية عشر المعسكرة فى « ملكال » فى الجنوب بمظاهرة وطنية ، تأييداً للكفاح الوطنى ولزملائهم الطلبة الحربيين وفى ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢٤ ظهرت روح التمرد فى الاورطه الثالثة عشره السودانية المعسكرة فى « واو » بالجنوب أيضا ... .. وهكذا . . . وهكذا . . .

٤) ثورة السجناء

٢٥ نوفمبر سنة ١٩٢٤

ومضت الثورة تشتعل فى ربوع الوطن . . . . . .

وفى سجن (كوبر) بالخرطوم بحرى حيث سجن القادة الوطنيون اعضاء جمعية اللواء الابيض وحيث سجن معهم اخيراً قادة المظاهرة المسلحة ابعادا لهم جميعا عن شعبهم وأهلهم حتى تهدأ الثورة التى شاركوا فى أشعالها فى هذا السجن ذاته قامت ثورة طاحنة عاتية قادها هؤلاء الأبطال المعتقلون .

قائد السرايا ـ أمير البر والبحر ـ حاج أمحمد ابو فرجه
(أنظر صفحات ـ ٣٣ و ٣٩)

فان الانجليز أساءوا معاملة هؤلاء الأبطال بعد ان وضعوهم فى زنزاناتهم فى سجن كوبر ، ولكن هؤلاء الذين نزروا أنفسهم للنضال الوطنى بكل نتائجه حتى الموت فى سبيل وطنهم ، لم يرضوا أبداً بهذه المعاملة السيئة وهم قادة روح الكفاح الوطنى وروح العزة الوطنية فصمموا على تلقين الانجليز درسا جديداً حتى وهم داخل المعتقل ووراء الاسوار ...

قرروا أن يقوموا بثورة داخل السجن نفسه .... ووضعوا خطة التنفيذ ـ

وفى صبيحة يوم ٢٥ نوفمبر دخل مدير السجن الانجليزى وفتح احدى الزنزانات وكان معه مأمور السجن وأربعة جنود وكان يريد ان يزيد الحديد على أيدى الأربعة المعتقلين الذين كانوا داخل تلك « الزنزانة » وفجأة وحسب الخطة الموضوعة هجم الاربعة معتقلين على المدير الانجليزى ، واعتقلوه وهددوا بقتله ان حاول أحد اطلاق الرصاص ـ وقفز أحدهم ورمى بمفاتيح الزنزانات بعيداً فأخذها بعض المعتقلين وأخذوا فى فتح الزنزانات المقفلة ، وهجم كل المعتقلين ، فهرب مأمور السجن وعساكره ، وكان عدد هؤلاء الابطال « خمسمائة رجل » هجموا على السجن فنزعوا الحديد والسيخ من الزنزانات ومن الشبابيك وأخذوا الاخشاب والمواسير وكل شيء عثروا عليه فتسلحوا به وتسلق بعضهم حيطان السجن للحراسة واعلنوا بذلك الثورة الفعلية داخل سجنهم ـ وانتخبوا مجلسا يقود هذه الثورة على رأسه : عبيد حاج الامين ومحمد فضل الله (قائد المظاهرة المسلحة) فأمر مجلس ثورة السجناء بالاستيلاء على مخازن الغذاءات فى كوبر ، فأستولوا عليها وعينت لجنة للتموين مسئولة عن تقسيم ما بالمخزن ـ بالنظام ـ على السجناء ... وشددت الحراسة فصار السجن كله على الاطلاق تحت قبضة وادارة هؤلاء الرجال

فكان مثلا باقيا على الروح البطولى الذى لا يموت أبدا ـ

مهما عـذب البطل ـ ومهما كبل بالحديد ومهما كانت قسوة الظروف التى تحيط به ـ أنها روح ثوار حقيقيين من السودان ـ
وعجزت الحكومـة بكل قوتها من استرداد السجن ، الذى صار مستقلا يديره طلاب الحرية لأهلهم .
وعجـزت كل الوسـائل من التهـديد واحـاطتهم بالفرق الانجليزية يحملون المدافـع المكسيم والبنـادق ومضت هكذا عشرة أيام كاملة على هؤلاء الرجـال يديرون حياتهم بأنفسهم فى أقسى الظروف ودون أن تصلهم أى امدادات طعـام او مـاء من خارج السجن المحاصر بقوات بريطانيا العظمى .
واخـيرا لجـأ الانجليز الى نفس أسلوبهم بعـد أن عرفوا كثيرا من التقاليد والاخـلاق السـودانية ـ لجأوا لاسـلوبـه « توسـيط » كبار السودانيـين لابنـائهم ـ فتجمـع مشاهير السودانيين من زعماء دينيين وتجار وغيرهم وبعض من أهل هؤلاء المعتقلين ـ فحملوا وعداً من الحكومة بأنها لن تعود أبداً لاساءة معاملة هؤلاء الرجـال وازاء وساطة كبـار الاهل وازاء رجـوع الحكومة الى صوابها بهـذا الوعـد رضى الثوار تسليم السجن بعـد أن صـاروا هم الحـاكمـين ومن أتوا بهم الى السجن هم المحاكمين وتحت رحمتهم ـ سلموا السجن أخيرا
ولكن الانجليز أيضـا لم يرعوا كلمـة الشرف ، فشـددوا التكـير على هـؤلاء الثوار داخـل السـجن ونقلـوا عشرة من الطـلاب الحربيـين الى السجن العسـكرى داخـل معسكرات الجيش الانجليزى وبدأوا يعذبونهم ـ

٥) الثورة المسلحة

معركة أغسطس سنة ١٩٢٤

ولكن ظروف الثورة الشـعبية مضت فى طريقـها تشـتعل وتشـتعل ، وبعد مرحلة المظاهرة المسلحة ومرحلة ثورة السـجناء

انتقلت الثورة الشعبية فى السودان الى مرحلة الثورة المسلحة
فقد رأى الانجليز لتخفيف النار التى تشتعل فى كل مكان أن ينفردوا هم وحدهم بمعالجة المسألة السودانية كلها ــ كما يرون ــ ولذلك تنكروا لشريكهم فى الغزو من « أسرة محمد على » تنكروا لحق خديوى مصر فى ذلك الوقت فى غزو السودان ، واستغلوا بعض ظروف مصر وطالبوا بجلاء الجيش المصرى الذى كان موجودا فى السودان ....

ولكن لقد قلنا انه منذ بداية الكفاح الوطنى فى السودان بقيادة جمعية اللواء الابيض ، صار هنالك تفاهم بين الوطنيين السودانيين الذين يريدون حرية وطنهم من الانجليز وبين الوطنيين المصريين الذين يريدون أيضا حرية وطنهم « مصر » من احتلال الانجليز ومن حكم أسرة محمد على والخديوى كذلك ــ ولهذا فلقد كان بعض المصريين الموجودين فى السودان يفهمون كل هذا ويأيدون الكفاح الوطنى السودانى

ولما أمر الانجليز هؤلاء المصريين بالخروج من السودان ، حتى ينفردوا هم وحدهم بالحكم تجددت ثورة الوطن السودانى وحمل العبأ هذه المرة لا الطلبة الحربيون ــ وأنما الضباط العسكريون أنفسهم من أبناء السودان فقد اجتمع اعضاء جمعية اللواء الابيض من الضباط السودانيين ورأوا ان الكفاح قد وصل الى المرحلة العسكرية بقوة السلاح وقرروا ان يبدأوا هذا فى يوم ٢٧/١١/١٩٢٤ وكونوا مجلسا أعلى يتولى التنفيذ هكذا : ــ

١ ــ عبد الفضيل الماظ	قائدا أعلى
٢ ــ حسن فضل المولى	ضابط مكسيم
٣ ــ على البنا	ضابط مكسيم
٤ ــ ثابت عبد الرحيم	ضابط بلتون
٥ ــ سيد فرح	ضابط بلتون
٦ ــ سليمان محمد	ضابط بلتون
٧ ــ الله جابو سليمان	احتياطى امدادات

٨ ـ قسم السيد خلف الله احتياطى امدادات

وفى يوم ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٢٤ فى الساعة الرابعة بعد الظهر تحرك ـ بلتون من الجنود السودانية ، عددهم ١٢٠ جنديا واحتياطى معركة ٨٠ بقيادة عبد الفضيل الماظ ومساعدة زملائه الاخرين من الضباط .. تحركوا من ثكناتهم بالخرطوم وقرروا أن يتحدوا بقوتهم مع الجيش المصرى الموجود فى الخرطوم بحرى ويبدأوا المعركة سويا ......

وعلت أناشيدهم الوطنية ، فتجمع حولهم المواطنون بحماس وطنى طاغ ... ومضت القوة تتسلح بالمكسيمات والبنادق تحت امرة الضابط الشاب عبد الفضيل الماظ تشق طريقها بتصميم سودانى نهائى فبلغ الانجليز الامر فأرسل (هدلستون) الضابط الانجليزى فقابل القوة وأمرهم بالرجوع . فعصوا أوامره . ومضوا بنفس القوة فى مسيرتهم الكبرى متخذين شارع (جامعة الخرطوم) الى كبرى الخرطوم بحرى ..

وأسرع (هدلستون) بالاخبار وعرف الانجليز ، قوة هذا التصميم وعرفوا كذلك خطورة هذه الثورة اذا تمكنت من الوصول الى القوات المصرية فى بحرى وأستفادت هنالك من ذخيرتهم وعتادهم وتجمع عليها باقى الجند والضباط السودانيين لذلك قرروا أن يقاوموا هذه المجموعة قبل أن تكبر وتتقوى ببقية العسكريين السودانيين .

وفى الحال خرجت قوة ضخمة من الجيش الانجليزى من ثكناتهم الواقعة قرب كبرى الخرطوم بحرى ومبانى الجامعة (الحالية) وكانوا أكثر من ألف جندى انجليزى بكامل سلاحهم ـ وأمروا فقتح كبرى الخرطوم بحرى .

ولما وصلت القوة السودانية ، وجدت أمامها القوات الانجليزية تحول دونها وما تريد عن طريق القوة . . . فنفذوا التصميم السودانى فى الحال ـ ودون التفكير فى أى إعتبار مهما

كان • آمـــر القائد (عبد الفضـــيل المـــاظ) قوته بأن يتخذوا من الموقع حولهـــم أماكن عســـكرية وكان هنالك جدول لتصريف ماء الخريف عليه ردمية كبيرة ــ فدخلته القوة فى لحظة واحدة وطرحوا على قمته مكســـبيماتهم وبنادقهم وصوبوا نحو قوات الانجـــليز ومضى (عبد الفضيل) فأصدر أمره بالضرب فى الميدان على الانجليز الذين لا يسترهم من تراب الســـودان ساتر • فانطلقت الحمم من الايدى السمراء الثابتـــة وهدر النيـــل تحت كبرى بحرى بصدى القذائف والطلقات فحصـــدت القوة الســـودانية الواقفين امامها ودارت المعركة عسيرة شاقة قاتل فيها رجالنا بكل شرف تاريخنا فى المعارك ، قاتلوا حتى آخر طلقة من رصاص حتى مضى ذلك الظهر ومضى العصر ؛ ودخل ليل طويل ، والانجليز لا يجرأون حتى على أخذ الكتل من موتاهم التى بقيت وكأنها ستار من الحصى (الاحمر) والرصـــاص المنبعث من الخندق الســـودانى يدوى ويزأر • • • وعندما انتصف الليل لم يبق فى ايدى جنودنا طلقـــة واحدة فتذكر قائدهـــم الواعى مســـتشـــفى الانجـــليز العســـكرى مســـتشـــفى النهـــر الحـــالى القـــريب منهـــم فاقتحمـــه بسلاحه وأردى برصاص مسدسه من اعترض طريقه وكان بصحبته زميـــله الضابط (ســـيد فرح) وبعض جنودهم ، وهناك كسروا مخزن الذخيرة بذلك المستشـــفى وعبأوا ســـلاحهم ــ ومن داخل المستشفى نفسه اتخـــذوا موقعا جديداً ، بدأوا منه المعركة أشـــد ضراوة واقوى بأسا ، فاستمرت بنفس القوة باقى الليل ، وصباح اليوم التالى ــ وكانت جبهة الانجليز التى أصابها الذعر من العدد الضخم الذى سقط من موتاهم كانت هذه الجبهـــة قد بدأت منذ عصر يوم المعركة تتلقى الامدادات من كل صـــوب فى العاصـــمة ، سلاح وجنود ، لم يبق عسكرى انجليزى الا حشـــدوه امام هذه القوة المكونة من ١٢٠ رجـــلا ولكن كل ذلك لم يوقف المعـــركة والرصاص المنبعث من داخل المستشـــفى • وعند ذلك وفى ضحى اليوم التالى فكروا فى الحيلة الحربية الوحيدة ألباقية لهـــم فقرروا

نسف البنـــاء نفســـه عن طريق القنابل ، وهكذا ضرب المستشفى بالقـــنابل حتى تحطم كل البـــناء ، فوقع على من تبقى بداخله من الجنود السودانية وعلى بطل المعركة نفسه (عبد الفضيل الماظ)

وعنـــدما توقف الرصاص ــ وعندما جرؤ الانجـــليز ، على دخول انقاض المستشـــفى وجدوا البطل السـوداني ذلك الشاب ممسكا بكلتا يديه بمدفعه المكســـيم ، وعلى شـــفتيه نفس القوة ونفس التصميم فحسبوه حيا ولكن قلب هذا البطل الشجاع كان قد توقف عن الخفقان عند هدم المستشفى ولهذا فقط كان مدفعه المكسيم قد توقف عن حصد جند الانجليز . . .

وانتهت بهذا معركة خالدة فى تاريخـــنا ــ وبدأ الانجليز بعد ذلك اعتقالات مجنونة فحكموا بالاعدام قتلا بالرصاص أربعة من قادة المعركة الذين بقوا أحياء ولكنهم قابلوا الموت ببسالة أخجلت أعداءهم وحاكموا بالسجن الشديد كل من عثروا عليه أو شكوا فيه من العسكريين السودانيين وقابلوا الكفاح الوطنى بحقد جديد كحقدهم الاسود من أجل (غردون) ونفـــذوا أمرهم فى المصريين فطردوهم من السودان ووجدت القوة الشعبية السودانية نفسها فى مرحلة جديدة بالنسبة لامكانياتنا الوطنية فأتخذ الكفاح الاسلوب الجديد الذى يناسب هذه المرحلة الجديدة ولكن الكفاح نفسه مضى الى الامام ولم يتوقف أبدا . . .

٦) تحركات القوات العسكرية

وأمدت المعركة الخالدة معركة النيل القاسية وبسالة الرجال وقائدهم الكفاح الوطنى بقوة هائلة رائعة وصلت أخبارها كل صقع من أرض وطننا • وعرفوا كيف اتخذت قوة صغيرة من شباب الجيش السودانى من (جدول) ماء الخريف موقعا عسكريا وهى لا تزيد عن مائتى رجل • وواجهوا جيش الامبراطورية الضخمة المكون من أكثر من ألف جندى وضابط بكامل استعداداتهم وأدار الثوار العسكريون معركة وطنيةفدائية أبادوا فيها فى لحظات القوات المعادية فاختل نظامهم ، وتكومت فى كل محل بمنطقة كبرى الخرطوم بحرى جثث موتاهم (كالحصى الاحمر) فهرعوا يجمعون الامدادات من كل مكان فى العاصمة ، ولكن المعركة استمرت ظهر ذلك اليوم كله واستمرت فى الليل كله واستمرت حتى ضحى الغد ، عندما لجأوا لآخر حيلة بقيت لهم فهدموا بناء المستشفى العسكرى على قائد المعركة السودانى الذى كان مدفعه المكسيم يهدر ويحصد ولا يتوقف أبداً ـ وعندها فقط تهدم المستشفى وصمتت المدافع السودانية التى لم تستطع الامبراطورية مواجهتها من الامام بكل جندها وبكل امكانياتها وبكل سطوتها وبقيت هذه البطولة ملحمة الابطال السودانيين الخالدة فى سلسلة معارك الكفاح السودانى ضد الأجانب الغزاة • تماما كما بقيت شجاعة من بقى من الضباط السودانيين حيا ، مضرب الامثال حينما وقفوا فى ساحة الاعدام كالاطواد الشامخة لا يختلج امام الموت أى جزء من أجسامهم البطلة • حتى الرصاص عجز عن قتلهم حتى كرر اطلاق النار عليهم مرات ومرات • • •

ومن هنا فقد كان زملاء هؤلاء الابطال من السودانيين الذين يعملون فى الجيش أكثر مواطنيهم حماسة ـ وما أن سمعوا بالاعتقالات واحكام الاعدام على اخوانهم حتى بدأوا يتحركون :

« عبد الفضيل الماظ » قائد ملحمة البطولة السودانية ، معركة النيل الخالدة

ففى ديسمبر سنة ١٩٢٤ استولت (١٠ جى أورطة) السودانية على مدينة (واو) وأعلنت تمردها على حكومة الانجليز وتأييدها للثورة الوطنية وشهداء القوات السودانية المسلحة وكان يقودها اليوزباشى خضر على والملازم أول عبدالحميد فرج الله ....

وبعدهم ثارت (١٣ جى أورطة) بقيادة الضابطين زين العابدين عبد التام ، وفرج الله محمد وفى الابيض ثارت الفرقة السودانية بقيادة الضابطين محمد سر الختم وحسين المفتى وأستمرت هكذا التحركات فى القوات السودانية فى كل مكان والانجليز بعد أن أستقلوا هم بحكم السودان وحدهم جن جنونهم ، واخذوا يجمعون قواتهم من كل محل بالسودان وبدأت مقاومة عنيفة للثورة الوطنية مستعينين بالامكانيات الضخمة للامبراطورية البريطانية .

اضراب جميع الطلبة السودانية فى كلية غردون

نوفمبر سنة ١٩٣١

واستمر الكفاح .....

وسرى فى البلاد وعى جديد يناسب تطور العصر من حولنا فى كل مكان واتخذ التعبير عن روح الثورة فى وطننا طرائق جديدة تناسب روح العصر وما كانت تسوده من علاقات بين مختلف دوله ....

وقد أتى دور الطلاب السودانيين « المدنيين » فى المشاركة فى روح الكفاح والامانى القومية ......

فأعلنوا لاول مرة فى تاريخ السودان اضرابا (مدنيا) عن الدراسة تعبيرا عن السخط والعزم على المقاومه ......

كان ذلك فى يوم ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٣١ . وهال الانجليز

تجدد روح الثورة والمقاومة في السودان بعد كل العنف الذي استعملوه عقب الثورات الماضية في سنة ١٩٢٤ ....

ووسط الانجليز للطلبة بأسلوبهم الذي عرفناه كرام المواطنين الذين يحبون الخير لوطنهم ولكن الطلبة عرفوا من (تاريخ وطنهم) ان أسلوب « الوساطة » الذي يقدسه السودانيون ، يستغله الاعداء بعدم شرف استغلالا سيئا فواصلوا الاضراب حتى أقفلت أول كلية فتحت للسودانيين كلية غردون وسافر هؤلاء الطلبة الى مدنهم وقراهم حاملين نذر روح الثورة الوطنية بقيادة « المتعلمين » من أبناء الوطن فبدأ الاعداد لمرحلة أخرى في سلسلة المقاومه :

٧) مؤتمر الخريجين العام

فبراير سنة ١٩٣٨

واستمرت روح الاضراب كشرارة جديدة تسرى في روح المقاومة حتى فبراير عام ١٩٣٨ عندما تكتل كل المتعلمين من أبناء السودان في تنظيم واحد يقود تحركات أمتهم وسموا تنظيمهم الجديد « مؤتمر الخريجين العام » وبدأت هكذا أيضا ـــ مرحلة أخرى جديدة أكثر تنظيما بحسب ما يناسب ظروف العصر الجديدة

وفي أبريل سنة ١٩٤٢ بدأت تباشير المعركة الوطنية بقيادة المؤتمر فقد بعث المؤتمر بوضوح يخبر الحكومة بأنهم وراء حق شعبهم في أرضه وبلاده ... وفهمت الحكومة قوة هذه الحلقة الجديدة في سلسلة مقاومة هذا الشعب ، فأرادت أن تتصدى لهم ولكن العزم كان قويا

فلجأ الانجليز الى أساليب ، أيضا جديدة ، فبدأوا يفرقون بين المتعلمين ، وبدأوا يغرون الناس بأشكال أخرى في نظام الحكم وذلك باشراكهم بعض السودانيين معهم في الحكم فتكونت « بعد المؤتمر » أحزاب كثيرة واستمرت المعركة الوطنية في طريقها تقوى شيئا فشيئا حتى دخلت مرحلة الثورة

مرة أخرى فى عام ١٩٤٨

٨) ثورة ١٩٤٨ الشعبية

خرجت المدن والقرى فى كل السودان تعلن الثورة على أساليب الانجليز الجديدة التى حاولوا بها تضليلهم وتفريق كلمتهم . وتصدت الحكومة للشعب فبدأت مقاومة هائله :

ففى ١٣ نوفمبر سنة ١٩٤٨ تدفقت صفوف الشعب . حيث التقوا فى « نادى الخريجين » بأمدرمان ، وخرجوا فى أضخم موكب يهتفون للوطن ، مطالبين بجلاء الاجانب عن أرضننـا وتصدت لهم قوات الحكومة بأسلحتها ، ولكنهم لم يتزحزحوا وانما جمعوا كل شىء عثروا عليه حولهم يتسلحون به جمعوا الاخشاب والعيدان والطوب والحجارة ودارت معركة طويلة سقط فيها شهداء وسالت دماؤهم ، كما سقط أيضا من البوليس قتلى .

وفى يوم ١٦ نوفمبر سنة ١٩٤٨ : جاء دور (عطبرة) فاجتمع شعبها فى أضخم موكب وطنى هاتفين ثائرين ، وتصدت لهم قوات الحكومة فدارت معركة سقط فيها خمسة شهداء وجرح عدد ضخم

وفى نفس اليوم ١٦ نوفمبر سنة ١٩٤٨ جاء أيضا دور (بورتسودان) فخرجت تقاتل من أجل الحرية فسقط من أهلها خمسة شهداء (من الديم) وجرح عشرة جروح خطيرة كما جرح المئات بجروح خفيفة وجرح من الانجليز أربعة (ومدنى) شاركت الثورة يوم ١٥ نوفمبر سنة ١٩٤٨ فخرجت فى أضخم موكب يحملون قادتهم على الاعناق فتصدت لهم قوة الحكومة وجرح كثيرون نقلوا الى المستشفى .

وكانت الخرطوم قد ثارت منذ يوم ١٣ نوفمبر ، والخرطوم بحرى يوم ١٤ نوفمبر ـ وثارت (الابيض) وكوستى وملكال وكل مدينة بالسودان . وملأ المعتقلون السجون وامتلأ (سجن كوبر) مرة اخرى وتماما كما حدث قبل ذلك فى عام ١٩٢٤ بقادة الكفاح الوطنى الجدد .

انتصار الثورة الوطنية

فبراير سنة ١٩٥٣

وهكذا وبعد كل هذه السنين فى السودان لم ينعم الحكم الاجنبى براحة على ثرى أرضنا أمة لم تستكن ، شعب لم يذل ـ كفاح وطنى متصل الحلقات منذ عرفت بلادنا الحكم الاجنبى المنظم ، والراية الاجنبية ، ولم يكن امام الغزاة الاجانب الا أن يلقوا السلاح ويسلموا بالهزيمة فالكفاح الوطنى هكذا لا يموت ولا ينقطع ـ والسودانيون أنفسهم اظهروا تضامنا كاملا رغم كل الدسائس فاتفقوا كلهم بمختلف فئاتهم فى عام ١٩٥٣ على اخراج الاجانب ، وحرية الوطن .

فسلم الانجليز وتوصلوا يوم ١٢ فبراير سنة ١٩٥٣ الى اتفاقية السودان ـ وهى التى تم الاتفاق عليها أولا بين السودانيين والثورة التى قامت ضد الحكم الاجنبى وحكم أسرة محمد على فى مصر (ونجحت هذه المرة) الثورة الوطنية ـ فى مصر ـ واخرجت حكم الاسرة التركية وحكم الانجليز من أرض (مصر) وتوصلت مع السودانيين الى اتفاقات تامة فسلم الانجليز ، لأنه لم يكن امامهم غير التسليم .

الطريق الى السارية

وفى ضحى يوم الاحد الاول من يناير سنة ١٩٥٦ فى الساعة التاسعة صباحا صاح (نافخ البروجى) وانتصب قائما ، يعزف (لحن) حياة جديدة فى قلب سراى الحاكم العام الانجليزى بالخرطوم . . .

فأخذت تهبط على أنغامه أعلام الحكم الاجنبى الدخيل ،

دخل النضال الوطنى فى عام ١٩٤٨ مرحلة الثورة الشعبية من جديد
ضد أساليب الانجليز الجديدة

ويرتفع فى نفس تلكم اللحظات العلم السوداني الوطنى رمزاً لجمهورية سودانية وليدة .

فدمعت عيون رجال كبار من السودان . . . لم تدمع عيونهم أبداً وفى أصعب الايام دمعت عيونهم . وذكريات الطريق الطويل لهذا (العلم) السائر فى طريقه الى أعلا السارية تزحم عليهم قلوبهم وتمتلك المشاعر . . .

فلم تك تلك أول مرة تنكس فيها الايدى السودانية علم الحكم الاجنبى الذى دخل بلادنا على الاشلاء والجثث ، وخرج أيضا بالأشلاء ودماء الشهداء . . .

فالتاريخ يحدثنا ـ والنيل العظيم قد شهد ذلك، اليوم منذ واحد وسبعين عاما مضت حيث هجم الرجال السمر الكثيرون واقتحموا نفس هذه السراى وجذبوا تحت أقدامهم من على نفس السارية (العلم الاجنبى) ورفعوا رايتهم السودانية وجندلوا تحت السلالم (غردون) رمز الحكم الأجنبى الدخيل وأعلنوا حرية الوطن واستقلاله عن طريق الحرب الشاملة المباشرة .

ورجعت الراية الاجنبية مرة أخرى تثأر لنفسها من هذه الامة ولكن هل بقى السودانيون تحت ظل الراية الاجنبية الدخيلة الجديدة ـ أذلة كالعبيد ؟ .

كلا فلقد رأينا ورأت الدنيا كيف كان طريق الراية السودانية منذ ذلك اليوم البعيد وهى محمولة على أكتاف الاجيال من أبناء أمتنا فى سلسلة المقاومة الوطنية صفاً اثر صف

ان شعبنا لم يهن ، وانما مضى الكفاح على مر التاريخ يسقط الشهداء جيلا بعد جيل ولكن الشعلة نفسها لم تنطفىء أبداً ولم تتوقف عن المسير . . . استعملوا السلاح فى معارك ضارية ، وعرفوا المقاومة عن طريق المظاهرة والاضراب ومواكب الثائرين . فى كل محل من أرض الوطن ... وفى كل وقت منذ هبوط الغزاة

الحاقدين أرضنا للمرة الثانية ثأراً لأنفسهم (ولغردون)من ثوارنا حتى تكرر المشهد على نفس (السراى) في ذلك الضحى • •

واستقرت منذ ذلك اليوم الراية السـودانية في قمة السارية ترفرف من جديد في حمى النيل الخالد رمزاً لحريةوطننا بين الاحرار وعزة شعبنا الباسـل بين الشعوب ، وحقيـقة التاريخ الرائعة عن مسيرة روح المقاومة الوطنية علىمر الاجيالعلى ثرى أرضنا بكفاح الابطال وبدماء الشهداء ، بالمعارك الهائلة ، الحية الباقية في ضمير شـعبنا • • •

وثائق وتفسير

الجانب الفكرى للثورة المهدية

من واقع منشورات (المهدى) التى اصدرها (قسم المحفوظات)
بوزارة الداخليـــة

مدخـــل

اصطلح الآن على ان أى تغيير بالقوة المسلحة ، يعتبر (ثورة) اذا كان هنالك الشق الآخر للجانب العسكرى وهو جانب (النظرية) أو المنهج الفكرى ، بكل مثالياته وقيمه وأهدافه البعيدة فى (التغيير للمجتمـــع) بتقاليـــده وعلاقاته من أجل خلق مجتمـــع جديد هو (مجتمـــع الثورة) الذى من أجله رفع السلاح . وقاتل بواســـل الرجال . . .

وهكذا قد رأينا ـ فى هذا الكتاب ـ كيف كان يوم ١٢ أغسطـــس سنة ١٨٨١ هو يوم الاعلان العملى ، بقوة السلاح فى الجزيرة الصغيرة (أبا) للثورة السودانية بقيادة (المهدى) بداية للجانب العملى العسكرى الذى استمر بعد ذلك ما يقرب من أربع ســـنوات حتى حقـــقت (الثورة) عنوة وعن طريق الســـلاح فى سلسلة متصلة من المعارك هدفها الأعظم ، تحرير أرض الوطن من مستعمريه الغزاة الدخلاء ..

فهل وجدت(الثورة) المهدية نفسها عشية نصرها العسكرى العظيم فى ٢٦ يناير سنة ١٨٨٥ (فى فراغ) باعتبار ان دورها يقف عند هذا الحد (اجلاء الاجانب) وتحرير أرض الوطن ؟ وبعبارة أخرى هل أصاب شعور فكرى «بالضرب فى التيه» قيادة (الثورة المهدية) ؟ ! هل كان اذن (للثورة) نظرية ، منهج محدد للسلوك ونظام الحكم يوصل فى النهاية لهدم المجتمـــع الموروث وعلاقاته ، ليقوم مجتمع جديد واضح الملامح فى ذهن قائد الثورة ؟

للأجابه : ــ

أبادر فأذكر (الكلاسيكيين) من المؤمنين (بحوادث التاريخ) على أنها (وقائع جامدة) كالمومياء تحفظ بطابعها وجوهـا القديم (وهى محنطة) داخل اطار بلورى مهما كان نوع (البلورة) الخارجى معبراً (بزجاجة أو دهبه) عن الفارق الزمنى السحيـق بين ملامح المومياء بجوها المتحفى وبين العصور الجديدة المتمثلة فى ألاطـار البلورى (الحافظ لها) ..

أبادر فاذكر هؤلاء باننى أشـعر تماما الآن (بالتيه) يغمرهم وهم يقرأون (الفاظ) النصف الثانى من القرن العشرين تتـولى التفسـير والتحليـل لحوادث القرن التاسـع عشر فى السودان حوادث الثورة المهـدية وقد تعـودوا ان يقفلوا هـذه الحوادث داخل اطار خاص وايحاء خاص ، فصـل وخيط بمهارة لتحفظ فى داخله وجهة النظر الخاصة (الكلاسيكية) لحوادث الثورة المهدية أبادر فأذكر (هؤلاء) بأن جيلنـا يتقـدم الآن يكسر الغـلاف التقليدى المفصل بمهارة حتى يترك الأنوار : (أنوار الحقيقة على أرضنا) تشع بانطلاق على الانحاء تيقظ النيام ، تهز الضمائر جيلنا يتقدم الآن يصل حاضره فى النصف الثانى من القرن العشرين بماضيه واصالته فى القرن التاسع عشر فى تلاحم لا ينفصم من أجل التقدم الى الامام ولكن فى أسلوب هذا القرن وبسماته ...

واذلك ها هـنا (أيها الكلاسـيكيون) الفاظ عصرنا تتولى التفسير دون زيف ....

ونرجع لنصـل حديثنا ــ فنسأل هل كان للثورة المهـدية منهج فكرى واهداف لمجتمع جديد تريده ؟

اننا سـنجد الجواب بأكمله من المصادر الثلاث الرئيسـية التى شـكلت فى تكامل الجانب الفكرى الواضح للثورة المهدية وهـذه المصـادر الثلاث هى : ــ

اولا : المناشير

ثانيا : السلوك العملى اثناء حرب التحرير
ثالثا : هيكل الدولة ونظمها بعد الاستقلال

المنشورات

من الواقع الحرفى للمنشورات التى كتبها أو أملاها (المهدى) والتى كما ذكرت قد تولى قسم المحفوظات بوزارة الداخلية اعادة تصويرها واصدارها فى ثوب جديد نجد الجواب حاسما (ان نعم وبدون أدنى شك) كان للثورة أهدافها واضحة مدروسه.

ولنذكر دائما ان هذه (المنشورات) التى يضمها (سجلان ضخمان) انما هى كتاب الثورة الكبير ، للمنافحة الفكرية عن الثورة بضحض حجج الاعداء ، واجلاء حقيقة الثورة وما تريد وهى كذلك البيان التفصيلى لمظاهر السلوك المطلوب توفره فى الثوار المقاتلين ، بالنهى الشديد المستمر عما لا يستحب والتبصير الدائم بالأخلاق الاسلامية والتقاليد السودانية الأصيلة بالنسبه لهم كمقاتلة فى الميدان ، وكأناس فى حياتهم العاديه ويعنى ذلك ضرورة هدم المكتسبات من كل أنواع السلوك التى سادت المجتمع السودانى نتيجة للظروف القاسية التى فرضها حكم الترك فى السودان كما تبين الفلسفة الصوفية فى أن السلوك السوى انما يتأتى بفهم الحياة على أنها مجرد وسيلة للحياة الأخلد الباقيه وهكذا فلا مجال لتنافر أو تناحر أو جرى وراء الملذات ، ولا فرق بين مواطن ومواطن ، كلهم مجندون جنباً الى جنب من أجل اعلاء كلمة الحق ، هذا الى جانب زوايا كثيرة أخرى تحويها موضوعات هذه المنشورات تشكل فى مجموعها بسط واضح لماهية الثورة وما تريد ، كما تشكل منهج السلوك للفرد بالطريقة الجديدة المشبعة بالمثل والقيم الجديدة التى تسير جنباً الى جنب مع النضال المسلح ليتم التكامل لشخصية المواطن الجديد وليشكلوا جميعا فى النهاية نوع المجتمع الجديد

المرتقب ، فالمنهج الاسلامى لمجتمع مسلم منحل بكل صفات (المسلم) هو النهج الفلسفى للثورة وهو هدم تام لمجتمع حكومة التركية القائم على أساس (استغلال الفرد السودانى) حتى النهاية من أجل اشباع رغبات الأسرة الخديوية فى مصر وعملائها فى السودان مع اتخاذ أحط الوسائل لهذا الأمر الذى قاد لانهيار فى المعنويات ، واضطراب للقيم ثم يأس مظلم استدعى ضرورة التغيير العنيف السريع الذى قاده (المهدى) فى ثورة كبرى تزيل تعفن الترك ومكتسباتهم المهنية وتبنى فى نفس الوقت القيم والمثل التى تعود شعبنا على اعزازها وتقديسها ومن هنا كان التجاوب الكامل بين القائد وشعبه لدرجة الفداء المعجز الباسل بالدماء دائما وحتى تحقق النصر . هذا بالطبع الى جانب الشعور الوطنى الذى تجمع حول القائد وهو يذود عن الحمى يحرر الوطن من مغتصبيه المستعمرين الأجانب ...

فلنهرع الآن تتبين كل هذه السمات من حرفية هذه المرحلة الاولى : ــ (المجلد الأول) .

مرحلة الاعلان الفكرى للثورة عن طريق كل وسائل الذيوع المتاحة ، القائد يتحدث لمواطنيه فى (أبا) وفى أثناء تجواله الأول مع (الخليفة عبد الله) فى مناطق غرب السودان يبسط نظريته ومبادءه لمواطنيه فيملك القلوب ويأسر ، ثم يدبج الرسائل العميقة للمتعلمين والعلماء والمشاهير من أبناء وطنه يذكرهم بواجب المؤمن فى تقويم باطل الترك والتصدى له ويعلن اليهم أنه يتولى الآن مسؤوليه الجهر بتقويم باطل الترك حتى يعلى كلمة الوطن ، كلمة الحق . يسوق الدلائل البينه مستشهدا بكلام الله وحديث رسوله ومآثر السلف الصالح (فاقرأ صفحة ٧ المجلد الأول) منشور المهدى : ــ

«الحمد لله الوالى الكريم . والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد : فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدى بن عبد الله الى الاخلاء الكرام ، لا يخفى عزيز علمكم ان ما سوى الله هباء ، وكل

ما فى الدنيا زوال وما للعبد الا العمل الصالح الموافق للسنة ، وما سوى ذلك معود للحسرة والندامة وانى قد كاتبت جميع المحبين ومشايخ الدين ، وأنذرت بكروب تحصل ،ولا خرج عنها الا « بليمنا واجتماعنا »

ثم يمضى (المهدى) فيصف ما آل اليه حال الناس قائلا : ـــ

(وفضلا عن ذلك فانه لا سماية للعبد ، الا فى الدين الخالص الموافق للكتاب والسنة واذا لم يكن العمل على ذلك فهو مردود هذا زمان توافقت فيه الناس على البدع ومحبة الدنيا وصارت لهم عادة ، واسترقت الطباع بعضها ، ومعلوم أن الطبع يسرق الطبع ، والانسان على دين من معه فى الدنيا)

الى أن يقول للعلماء والمتعلمين : ـــ

كاتبناكم بالاجتماع معنا ، ومعلوم انه لا أمان الا فى الكتاب والسنة ، كما ورد أن المؤمن لا بغية له : ولا مطلب له الا الدين ،فمن كان مهتما بايمانه ودينه ، شفيقا على أمر دينه أجاب الدعوة مجتمعا معنا (للمعاونة على تقويم الكتاب والسنه) ومن له جاه ورياسه وانقاد للحق ، وانخلع عن جاهه ورياسته لله وللانقياد على الدين الخالص عوضه الله خيرا منه ، قال صلى الله عليه وسلم (انك لن تجد فقد شىء تركته لله) أى لم تجد له المـا ولا هما .

قال تعالى ، ولو ان أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم .

وفى صفحة ١٥ المجلد الأول ـــ منشور المهدى :

تبيان الموقف فى الوطن السودانى الذى أهين بغزو الترك وتحكمهم : ـــ

« هؤلاء الترك لما بسط الله عليهم النعم ، ومد لهم فى العمر وطول العافية ، ظنوا ان الملك لهم ،والامر بايديهم فخالفوا رسله وانبيائه ، ومن أمرهم بالاقتداء بهم (وحكموا بغير ما أنزل الله وغيروا شريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ووضعوا الجزية فى رقابكم مع سائر المسلمين وكل ذلك لم يأمرهم به الله ولا رسوله ،

ومع ذلك أمهلهم الله وبسـط عليهم ، فلم يتفكروا حتى خذلهم الله وسلبهم ثوب الملك والهيبة بتعديهم حدود الله ، فانظروا الآن كيف صاروا عندكم ، ومكنكم الله من نواصيهم)

الى أن يقول ـ نفس المنشور فى تبيان حالة الوطن على عهد الترك (حاسا على الكفاح)

الترك كانوا يسحبون رجالكم بالسلاسل ، ويسجنونهم فى القيود ، ويأسرون نسائكم وأولادكم ، ويقتلون النفس التى حرم الله بغير حقها ، وكل ذلك لأجل الجزية ، التى لم يأمر الله بها ، ولا رسوله ، ومع ذلك لا يرحمون صغيركم ، ولا يوقرون كبيركم ـ فكيف نسيتم هذا كله ، وتخلفتم عن الجهاد فى سبيل الله ، ولم تأخذكم الغيرة فى دين الله ، ولا فى انتهاك محارمه .

صفحة ١٨ المجلد الأول ـ هل قام (المهدى) حباً للأثرة أم متحملا مسؤولية كبرى ود لو أن غيره قد تقدم لحملها ؟ • الخطاب موجه للعلماء والمتعلمين السودانيين •

وانما قصدنا منكم الجميع المعاونة فى تقويم الدين ((وانى فى ذلك كواحد منكم ووددت ان لو قام به غيرى)) وصرت من جملة اعوانه فما كان الا ما اراده الله من تحملى باقامة الدين ...

يؤكد (المهدى) انما هو مواطن ضمن مواطنيه ، وانه فقط يتحمل نصيبه الأضخم من المسؤولية ويوجه الحديث لبعض (المقاتلين) الذين طمعوا فى المزيد من (بيت المال)

لو شاركتمونى فى الدين ، وصرتم فيه مثلى ، لكان لكم الا تطلبوا الصرف منى الا بعد العجز عن الكليات والجزئيات ، بحيث انكم من جملة المجهزين للدين والمطلوب حينئذ ان يكون المؤمن مع اخيه كاليدين تغسل احداهما الأخرى ، وان المؤمنين بعضهم من بعض ، والمؤمنون أوليائى واعوانى ، حيث يقول الله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض ، واذا كنتم كذلك ، واذا صدق الايمان فلست أولى به منكم بحسب اتصافكم بهذه الشروط ، واما بحسب الانفاق فقد انفق أبو بكر ماله ، وعمر وعثمان وعلى والزبير وطلحة

فداء لانفسهم واموالهم ، فى نصرة الدين ، فقد صاروا لنصرة الدين مع الرسول صلى الله عليه وسلم كنفسه ، بل انهم فدوه بانفسهم واموالهم واولادهم واهلهم برضى من انفسهم — احبابى : فانا لم آتكم لان تقيموا بى دنياكم ، وتسئلونى عن صلاحها وانما كان سؤالكم الى ، واجتهادكم معى فيما حملته فقط ..

صفحة ٢٨ المجلد الأول— هدم مكتسبات السلوك السيء الذى أورثه تعفن نظم الحكم التركى باستنهاض الهمم — ومس أوتار المواطنين المؤمنين حتى يفيقوا الى أنفسهم ويذكروا تقاليد أمتهم السمحة : —

فالعاقل من طبعها (النفس) جبراً على مكارم الاخلاق ، التى تدخل العبد فى رضى الله ورسوله ، والدخول فى زمرة الأصفياء والمقربين ، فى هذا المعنى احياء الدين ، الذى اندرس بمتابعة النفوس الهوى ، الا أن يكون لصاحبها من نور العقل لجام يقدمها عن ذلك ، فتهتدى الى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء الصالحين .

وقد صرفتم وجوهكم عن الله بسبب الأهواء واتباعها ، فكانت معبودكم ولا احد يشدكم ويذكركم ويعينكم على جهاد أنفسكم وصلاح دينكم .

وفى صفحة ٤٨

وامتنعوا عن الملاهى . فان بذكر الله تطيب الدنيا ، لا بالملاهى والمعازيف والدلاليك والنقاقير — والنحاس — لا يضرب الا فى وقت الحاجة اليه ، فى دعاء الجيش الى الجهاد ولاستماع البعيد ليحضروا الاشتغال بذكر الله ، هو سمة الموحدين ، وعلامة المجاهدين (الى أن يقول) وبعد ذلك كل ما يؤدى بالتشبه بالترك الكفره اتركوه ..

والى المقاتلين صفحة — ٤٩

لا تسل سيفك بينهم ، خوف اذية بلا عناية ، ولا تهز سلاحك على احد ابدا لئلا يخرج السلاح عن اليد بالغفله او ينصل فيضر

مؤمناً ولا يكون سل السيوف الا فى مقتضاه ومحله كما ورد ذلك وليحذر اصحاب الخيول من اقتحام الاخوان واضرارهم ، وعلى قدر ما يمكنكم انفعوا المؤمنين وازيلوا عنهم جميع الضرر فان من اضعف الايمان ازالة الأذى عن الطريق ..

١٢٦ ــ ضعفاء الأمة الرفق بهم ــ كيف وانه صلى الله عليه وسلم ــ كان له فى مرضه ، ستة دراهم فقال ائتونى بها ، فلما آتوه بها جعل يقلبها فى كفه ويقول ما ظن محمد بربه ؟ لو لقى الله وعنده هذه ، أى أنه لا يثق لنفسه ولا لأهله بشىء دون الله ..

صفحة ١٤١ ــ لا تأخذكم فى الله لومة لائم ، فشدوا على الكافرين والمنافقين وعليكم بالشفقة والرحمة على الضعفاء والمساكين

(المهـدى) يأمر باسقاط ألقاب التعظيم (السيـد والشيخ وغيرها فى سنة ١٨٨٢م ويذكر المكافحـين بأن مطلبهم فى الحكم هو الدستور الاسلامى : ــ

صفحـة ١٤٨ ــ ذكرت لكم فى المنشـور (....) ترك اسم ((الشيخ)) و ((السيـد)) وغير ذلك وفقنا الله واياكم على الصواب واتباع السنة والكتاب ...

وكان قد قدم فى نفس هذا المنشور بدرس كامل فى التهذيب جاء فيه : ــ

فلا تتشوقوا احبابى الى المـال والجاه والثناء ، واذا طاب لكم الثنـاء ورغبتم ان يثنى عليكم ، كان ذلك حب جـاه وصيت الدنيا وأنتم تعلمون من قـول الله ان الدار الآخـرة الذين لا يريدون علواً فى الارض ، من قوله صلى الله عليه وسلم حب المـال والجاه ينبتان النفاق فى القلب ، كما ينبت المـاء البقـل فلا تميلوا أحبابى، الى ما فى الدنيا من الجـاه والثناء والاموال فيكون فيكم الحسد والبغض والحرص ، والطمع ، والغيبـه ،والبذخ ، والتفـاخر وغير ذلك من المفسدات ...

التكسـب بالدين وطبقيـة بعض من العماء : ــ صفحـة ١٤٩

آن الدين قد اندرس ، ومن كان متمسكا بالدين جعله (شبكة)

المتعة ، والتكثر به فى الدنيا ، والتعزز على الأقران ، مع أن هذا شان أبناء الدنيا الذين لا خلاق لهم من محبى المتاع ...

اعلم لمن أنك لمن العلم .. البسطاء القادمين التوهم يلتفون حول جيش الثورة من ابناء القبائل المختلفة : ـ

فاللازم ان تجتهدوا ((يخاطب القادة)) فى النصائح الواردة اليكم مع الراتب والمنشورات وبلغوها للاخوان ، للاعانة بها على تقويم الدين ، فان الذكرى تنفع المؤمنين سيما الواردين اليكم من القبائل والمنفصلين عنكم والسلام

ملحوظه : ـ ما (المنشورات) المشار اليها (والرواتب) ما هى الا آيات كريمة وأحاديث وشروح وأدعية صيغت كما رأينا فى قالب سودانى بسيط يمكن أبسط الناس من العلم الذى يمكن أن يتاح لأى انسان فى ذلك العصر ..

صفحة ١٦٧ المهدى فى سنة ١٨٨٣ يكرر اسقاط التنادى بالألقاب ويبين المظاهر ورائها

الحمد لله الوالى الكريم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله مع التسليم ، وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدى ابن عبد الله الى احبابه كافه : ايها الاحباب ان من المعلوم ، ان العاقل العارف يسعى ، فيما يدوم ، ولا يسعى فى فراغ لا يوصله الى ما يدوم له رضا الحى القيوم ، ولذلك قد كتبت الاخوان جميع المنشورات بترك التسمى بـ (الشيخ) ((والسيد)) وغير ذلك من الألقاب التى تلتفت اليها النفوس المغرورة بالزائلات ...

ملحوظه أ ـ لابد أن (طالب التاريخ) يدرك أن (شيخ) و (سيد) هما اللقبان الاساسيان لحفظ المسافات الطبقية بالنسبة لذوى الرئاسة القبلية ، أو الاصول الصوفية من بيوت الدين (بالنسبه لمن هم أصلا سودانيين فى ذلك العصر) أنظر قاموس الشخصيات السودانية (أ ما يقر وفكال دكشنارى) (ارتشاردرهل)

ومن هنا نستطيع أن ندرك عمق هذا الالحاح من (المهدى) للمساواة بين السودانيين ويحذر (المهدى) من اعتباره أو

تسميته هو نفسه ملكاً أو سلطاناً : ـ

وحيث لم يسـم النبى صلى الله عليه وسلم بالملك ، وكذلك المهدى

والألقاب أيضا : ـ

وكان من ولاه صلى الله عليـه وسلم ، على بلدة او قرية ، كان يلقب بانه عامله على البلد الفلانى . والجهة الفلانيـة ، والامارة تذكر ممن لايـعرف حاله ، ولو ذكرت من العـارف فبطريـق الاسـتطراد على الانصرام . لا بعرف الاعتبار على الدوام ، لأجل ذلك لم نجـد رسم أسـمائهم ، الاخاليـة من الامارة والرياسة والسيادة والشـياخـة ونحو ذلك ..

ومن خاطـب اميرهم بانك انت امير الجيشـ . يـقول : هكذا يزعمون ما دمت على طاعة الله ورسـوله)) ((فان أنا غيرت او بدلت فلا امارة لى عليهم)) .

وكانوا لايحبون التمييز ، الا بالأمر والنهى . واقامة الحدود والشفقة على الخلق . وكانت امارتهـم فى نفوذ الاحكام . وتقويه . الاسـلام . لافى التلفظ ولا بالادعاء ... .

صـفحة ٢٣٠ يكرر (المهـدى) فى عشية فتح الخرطوم فى ١٨٨٥/١/٢٨ م يكرر الأهداف العظمى من تحمـل مسؤولية قيادة أمته مصراً على أن يكون الرجـل البسـيط بين اخوانه وأحبابه فيقول : ـ

يا احبابى المعلوم عندكم ـ ان قصدنا سلامة العباد ، واصلاح ما كان من الفساد ، واحياء ما اندرس من سنة خير العباد ـ ولم يكن لنا قصـد فى ملك ولا جمـع ، وليس لنا اعتماد فى قوامنا على اموال الدنيا ، ولا استعباد أحد فيها ، بل انما المراد أن تتفق القلوب ، على السير فيما يرضى الله ، ونكون اخوانا فى الله ..

صفحة ٢٦٧ فى قمة النصر حصار الخرطوم (المهـدى) ينزل منشوراً يحض على حسن معاملة آلاف الأسرى من ترك وأقباط وغيرهم بوصـفهم أخوة من (حواء وآدم) مهما كان منهـم (طالمـا أنهم

أصبحوا أسرى مستضعفين :)

يسروا أحبابي ولا تعسروا ، وألفوا ولا تعنفوا ، ولا تنظروا لمن استشهد من الانصار فتحقدوا بسبب ذلك ، على من كان مع الكفار ، فان قيامنا هذا لله ، لا لنفس ، ولا لسوء اختيار ، بل فى سبيل الله ، ومن استشهد من الانصار فقد نال عظيم المقدار . واكرموا الذين يأتون مسلمين وخصوصا العلماء)

يلاحظ أن الجزء السابق : تقديم لدعوة الناس (مشافهة ومكاتبة) الى « التغيير » عن طريق الجهاد وازالة نتائج تنكب حكومة الترك طريق الحق ، طريق الاسلام مما تسبب فى كل المظالم والمآسى فى الوطن السودانى — ولا علاج — الا بالتجرد التام تجرد المؤمنين لنصرة قائدهم والالتفاف حوله للجهاد ، غير عابئين بامكانياتهم المادية المحدودة ، ثم تبع ذلك سلسلة مستمرة من تبسيط الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة ، وسيرة السلف الصالح ، مع سرد العبر حتى تتم عملية رفع المعنويات عن (بصيرة حقيقية) بجوهر الحق وجوهر الدين لأن طريق الكفاح طويل يستلزم الايمان المستنير، لا الايمان (الوقتى) ولذلك التزم السجع وتخير العبارة الرصينة فى (قالب سودانى) محبب يأسر كل سودانى ، ويناسب طريقة أسلوب (الأوراد والرواتب) الصوفية التى خبرها السودانيون على مختلف (طرقهم الصوفية)

المجلد الثانى من المنشورات

هذا عن الجزء الأول من المناشير . .

أما الجزء الثانى فهو يختلف ، فهو يحوى الانذارات ، والمحاجة لدحض ادعاءات الاعداء ، ولذلك التزم فيه أسلوب آخر ، فيه (القوة) وفيه (القصر) وفيه يتجلى العزم الواثق على المضى فى الطريق حتى النصر : —

٧ أغسطس سنة ١٨٨١ بعد ان أعلن (المهدى) الى العلماء والمشاهير السودانيين عزمه على (الثورة) وبدأت الحكومة

تضطرب ، أرسلت اليه (أبو السعود) كأول اتصال رسمى مع المهدى فأراد المهدى أن يريه عمليا قوة التصميم الذى لا نكوص فيه : —

اشار المهدى للرجال حوله قائلا : (أ انتم راضون بالموت ؟ فقالوا كلهم نعم راضون بالموت . وباذلون ارواحنا .)

فالتفت المهدى الى رسول الحكومة قائلا : —

قد سمعت ما اجابوا به ، فارجع الى ولى أمرك فى الخرطوم — واخبره بما رأيت وسمعت

أنظر « شقير » ص ١٢٨ —

مايو سنة ١٨٨٢ توجه جيش الحكومة الثالث بقيادة (الشلالى) ليجرب حظه بعد نصر (أبا) وبعد (فرار) مدير الأبيض بجيشه — فكتب الشلالى قبل وصوله خطابا طويلا ، يحاول أن يحتج ويقلل من قيمة السودانيين الملتفين حول قائدهم فى قدير — فيرد المهدى فورا — بخطاب طويل يبين (للشلالى) خطورة محاولاته محذرا — ثم يفتخر (المهدى) ويعلن اعتزازه بمن حوله من مواطنيه البسطاء الأقوياء فنقرأ له : —

اما بعد فانه وصل الينا جوابكم ، وما ذكرتم فيه من وقوفكم على مكاتبتنا — وانكاركم صار مأوما الينا — وكنا قصدنا أن نضرب عن افادتكم صفحا ، ونطوى دون اجابتكم كشحا لوقوفكم على الانذار ، ومجاهرتكم بالانكار — لكن أردنا أن نبين لكم غلطكم فيما ذكرتموه فى جميع المواضع .

الى أن يقول : —

لأن الحكومة لو ارادت المراجعة والاطلاع على ما عندنا من البراهين لأرسلت الصلحاء والعلماء ، اهل المذاكرة والدراية ، بهذا الشأن ، ولم ترسل العساكر الاغبياء وتعطيهم الاسلحة .

(لأن القطب الدردير قد نص فى باب المحاربة على أن أمراء مصر ، وجميع عساكرهم واتباعهم ، محاربون لأخذ أموال المسلمين منهم كرها فيجوز قتالهم — كما قال تعالى : انما جزاء الذين

يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا .)

(قل لا اقول لكم عندى خزائن الله ، ولا أعلم الغيب ، ولا اقول لكم انى ملك ان اتبع الا مايوحى الى ، وقوله تعالى انما الغيب لله هو يعلمه لا غيره ، الا أن يريد الله اطلاعه فى بعض الأحيان لحكمة يعلمها هو . .)

الى أن يقول راداً وموضحاً على من تعتمد الثورات على من تاريخ البشر : ـ

(وقولكم ما اتبعنا الا البقارة الجهلاء ، والمجوس ، فاعلموا ان اتباع الرسل من قبلنا واتباع نبينا ((محمد صلى الله عليه وسلم)) الضعفاء ، والجهلاء ، والاعراب الذين كانوا يعبدون الحجر والشجر واما العلماء ، والاغنياء ، وأهل القوة والترف . فلم يتبعوهم الا بعد ان يخربوا ديارهم ، ويقتلوا اشرافهم ، ويملكوهم بالقهر ـ قال تعالى حاكيا عن قوم نوح : ((وما نريك اتبعك الا الذين ، هم اراذلنا بادىء الرأى)) وقال تعالى : وما ارسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون ـ وقالوا نحن اكثر اموالا واولاداً وما نحن بمعذبين .

ولما بعث نبينا محمد ((صلعم))كانت مدائن اليهود والنصارى مشحونة بالأحبار والرهبان ، والأغنياء ، والملوك أهل الطغيان ، وكانوا يتمنون ادراك زمنه ، ويستعزون به ، فلما ظهر انكروا وجحدوا نبوته . وقالوا ما اتبعه الا أجلاف الأعراب ، عراة الأجساد وجياع الأكباد ، واستكبروا عن اتباعه ، وكفروا به ، مع أنهم يعرفونه كما يعرفون ابنائهم ، ويعلمون أنه الحق من ربهم ، ولم ينفعهم علمهم ، ولا غناهم ، بل ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بالغضب من الله ، ولم يبق لهم ملكهم الذى منعهم عن اتباع الحق ، الا اياما قليلة ، حتى فرقه الله ، وشتت شملهم ، وجعلهم غنيمة ، لضعفاء الاعراب الذين كانوا يستهزئون بهم ـ وكذلك نرجو أن تكونوا أنتم ، ومن ورائكم ، غنيمة للبقارة الجهلاء ، الذين تستهزئون بهم . . . . . .

الى أن قال محذراً : ــ

فلا نبالى بمدافعكم ، وصواريخكم ، وكثرة جيوشكم ، ولو بلغتم عدد الرمل ، لأنه لن يغلب الله شيء ، وهو غالب كل شيء قال تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم . . . .

ويصور لهم جبنهم وهلعهم والتماسهم لأنفسهم المعاذير داعياً لهم للنزال : ــ

وقد ذكرتم انكم كاتبتمونا ، لأن الخديوى الأعظم ، قال لكم لاتحاربوه حتى يتعدى الحدود ، فاعلموا أنهما اخركم عنا ، الا الخوف الشديد ، والجزع الذى ليس عليه من مزيد ، لاننا من حين كنا فى جزيرة ((ابا)) تعدينا حدودكم ، وخالفنا مقصودكم فكيف تخاطبونا الآن ، بمثل هذا القول ، الذى لاينشأ الا عن ضعفاء العقول ، فسارعوا الى محاربتنا ، لتاخذوا مناصبكم ، التى غركم بها الشيطان ، ولا تجبنوا ، وتحرصوا ، وتتحيلوا ــ ان كنتم كما زعمتم ــ رجالا ابطالا ــ أهل دراية بالحرب ، فانه ليس بيننا وبينكم الا السيف ، ولسنا محتاجين الى مراجعتكم ، حتى نرسل لكم العلماء ، ليذاكروكم ، فمن شاء فاليؤمن ، ومن شاء فاليكفر والحذر ، من المجاوبه ثانيه ــ فاننا لا نرد لكم جواباً . . . .

وفى يوم ١ نوفمبر سنة ١٨٨٣ اقترب (هكس) بجيشه الكبير من الأبيض وكثقاليد الحرب ، أرسل (المهدى) اليه الانذار الآتى : ــ

الى من يسمع من اهل الجردة ممن له عقل : فانه لا يخفى ذى عقل ، ان الامر بيد الله . لا يشاركه فى ذلك بنادق ولا صواريخ ولا عصمة لأحد الا من عصمه الله تعالى . فاذا فهمتم ذلك فاعلموا أن الله واحد ، فلا تغتروا بأسلحتكم ، ولا بجنودكم . . .

الى أن يقول ــ

ان الترك الذين قتلتهم ، شكوا للحق ، عز وجل ، وقالوا يا الهنا ومولانا ان المهدى قتلنا من غير انذار . فاقول انذرتهم يارب ولم يسمعوا . . .

ويختم (المهدى) طالبا منهم الاستسلام : —

تخرجوا الينا مسلمين ، من سلم يسلم ، وان أبيتم الاالجحود والاغترار بالمدافع ، والبارود فانتم مقتولون . . .

وكما نعرف سحق هذا الجيش فى « الكماشة الحربية » بكل جنرالاته ، ولواءاته من الضباط الانجليز ، والاتراك وغيرهم وكتب المهدى يعلم أمير شرق السودان عثمان دقنه بهذا : —

ومن خصوص الجرده المصرية ، التى بلغكم انها حضرت الينا عن طريق الخرطوم ، وصلتنا وحصل الظفر عليها بأمر الله تعالى وقتلناها عن آخرها شر قتلة بما فيها من الرؤوس الكبار احدهم علاء الدين الحكمدار ، والثانى هكس النصرانى والثالث حسن وغيرهم من الضباط — والان جميع مدافعهم واسلحتهم بيدنا وهى شىء كثير جداً . وكان هلاك المذكورين فى يوم الاثنين ٤ محرم سنة ١٣٠١ هـ بجهة علوبة (شيكان) وعددهم كما قيل ستة وثلاثون ألفا ، فانقرضوا فى أقل من ساعة . . .

فى أغسطس سنة ١٨٨٥ وصلت حملة انقاذ (غردون) راجعة بعد فشلها من الخرطوم الى (دنقلا) فاعتقل الانجليز أقارب المهدى فى (لبب) وسجنوهم فى (دنقلا) كرهينة وكتبوا يساومون (المهدى) بأهله ، طالبين منه أن يفك الأسرى (الأجانب) الذى عنده مقابل اطلاق سراح أقاربه — فيرد (المهدى) رافضا أسلوب (المساومات الانجليزى) موضحا ان السودان كله أهله ، وان أنصاره المقاتلين الذى تحملوا العبء معه هم وحدهم أهله الحقيقيون ، زيادة على انه صاحب رسالة وليس مغامراً ولذلك لم يحتفظ بالأسرى « كرهائن أو مساجين » وانما قبل منهم — مجرد — اعلانهم انهم أسلموا وانهم صاروا من أنصاره فأطلق سراحهم يعيشون بين السودانيين كما يريدون ، فالنقرأ (للمهدى) : —

وان ضربتم عن نصحنا صفحا وبقيتم على اختيار كفركم ، فاعلموا أنه يحل بكم من النكال والوبال ما حل بمن قبلكم كهكس وغردون ، ولن تغنى عنكم عددكم من الله شيئا ، وستعلمون غداً من

الكذاب . وليكن بعلمكم أنه قد ورد لنا خطاب من الجماعة الذين أسرتموهم فى ((القسيسين والأفرنج والأقباط)) يلتمسون فيه ارسالهم اليكم ، لكى تفرجوا عنهم)) وما هذا الا من باب حيلكم ومخادعاتكم التى لا تجدى نفعا)) وحيث ان هؤلاء الجماعة الذين هنا قد أنابوا الى الله ، ودخلوا فى دين الاسلام . فقد صاروا أكرم الى الله ، وأعز عندنا من الجماعة الذين معكم والذين أسرتموهم ، ولا نرضى لهم الرجوع ليد الكفر بعد دين الاسلام ، ولا يمكن ارسالهم اليكم ، ولو قطعتم الذين بطرفكم اربا اربا . . .) أنظر شقير ٣١٨

وفى يوم ٣١ مايو سنة ١٨٨٥ أى بعد شهور من سقوط الخرطوم ـ وتحرر الوطن السودانى اتجه (المهدى) بفكره الى الجيران الذين يأنون تحت نفس الاستعمار الأجنبى (الأسرة الخديوية) وأسيادها الانجليز اتجه (المهدى) بفكره نحو المصريين ـ فكتب لهم منشوراً يدعوهم الى الثورة على (حكامهم عملاء الكفار الانجليز) وكتب لحاكم مصر التركى منذراً ومحذراً

(وبعد فمن العبد المعتصم بالله محمد المهدى بن عبد الله ، الى والى مصر ـ لا يخفى على من نور الله بصيرته ، وشرح صدره أن الدين الذى يكون المتمسك به ناجيا عند الله هو دين الاسلام ، الذى جاءنا به نبينا محمد صلى الله عليه سلم .)

الى أن يقول مذكراً (الوالى) بمحارم الاسلام التى استبيحت منذراً ومحذراً : ـ

(فان دسائس أهل الكفر ، التى أدخلوها على أهل الاسلام وضلالاتهم التى مكنوها من قلوب الانام ، قد افضت الى اندراس الدين ، وعطلت احكام الكتاب والسنة بيقين ، فصارت شعائر الاسلام غريبة بين الأنام ، وتراكمت الظلمات ، وانتشرت البدع ، وابيحت محارم الاسلام . . . واشتد الكرب على أهل الايمان فصار القابض على دينه كالقابض على الجمر لتراكم البغى والعدوان)

ويعنف (المهدى) والى مصر الذى لم يتورع عن التحالف مع (الانجليز) ليهزم السودانيين الذى لم يفعلوا غير الثورة طلبا

لأرضهم وحقهم كما يأمرهم ربهم ودينهم فيقول له : ـ

وهكـذا صارت جيوشـك تاتينى ثلة بعـد ثلة ، واقدم لهـم الانذارات ، ولم تنفعهـم والله يؤيدنى وينصرنى عليهم كما وعـدنى ، ويقطـع دابرهم الى ان قلت حيلتك ، وتلاشا أمرك ، فسـلمت أمر محمد صلى الله عليه وسلم لأعداء الله الانجليز ، واحللت لهم دماءهم ، واموالهـم واعراضهم .

ولكن حتى الانجليز ماذا حدث لهم فى السودان : ـ

(فجاءت الانجليز ، بكبرهم وخيلائهم ، واعتمادهم على غير الله فلما سول الشيطان لهم ، ادراك غردونهـم بالخرطوم ، وآيست من هداية أهله وعلمت ان تكرر الانذارات لا ينفعهم ، وحقت عليهم كلمة العذاب وصاروا مثل من قال الله فيهم ، وسواء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم ((الآية)) عجـل الله بفتحـه (الخرطوم) واهلاك من فيـه واحرقت النار اجسامهـم .)

(وما كان يحسن بك ، ان تتخـذ الكافرين اولياء من دون الله وتستعين بهم ، على سفك دماء أمة محمد ((صلعم)) ألم تسمع قول الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا ، لا تتخـذوا اليهـود والنصـارى ، أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فانه ((الآيه))

وما هـذه الطاعة لأعـداء الله ؟؟ والله تعـالى يقول : ((يا أيها الذين آمنوا ، ان تطيعوا فريقـاً من الذين أوتوا الكتـاب ، يردوكم بعـد ايمانكم كافرين ، وكيف تكفرون وانتم تتلى عليـكم آيات الله)) الى ان قال : ـ ((يا أيهـا الذين آمنـوا اتقـوا الله حـق تقاته ، ولا تموتن الا وانتم مسلمون ـ الآيه))

ولا تغتر بحصن بلدك ، وكثرة أسلحتك ، وعددك الظاهرية ، ومظاهرة دول أهل الكفر لك ، فانها لن تغن عنك من الله شيئاً ، وكم أهلك قبلك من الملوك أهل الحصون المنيعة ، من هو اشـد منك قوة واكثر جمعا لمـا بغوا وعاثوا فى الارض مفسـدين . . .

ويختم (المهدى) : ـ

وان أبيت بعـد هذا ، الا الاعراض عن طريق الفلاح الرشاد ،

فانما عليك اثمك واثم من معك ، ولا بد من وقوعك فى قبضتنا ، ولو كنت فى بروج مشيدة ، وهـذا انذار منى اليك ، وفيه الكفاية لمن ادركته العناية ، والسلام على من اتبع الهدى ....

وبعد : ـــ

هذا هو (المهدى) من خلال (حرفيـة المنشورات) بشقيها (التعليمى التهـذيبى والمحاجـة الفكرية فى أسلوبها المناسـب) وشقهـا الآخر (دحض الادعـاءات ، كشف ترهاتهم وألاعيبهم والانذارات) فى أسلوبها أيضا الذى يناسب ذلك ـــ هل اتضحت الأسس الفكرية المدروسة من حرفية المنشورات ؟

ونأتى للمصـدر الثانى للتكامل المنهجى والأهداف المحددة للثورة وهو السلوك العملى أثناء الحرب ...

المصدر الثانى : السلوك العملى أثناء حروب الثورة منذ (أبا) وحتى سقوط الخرطوم .

وهذه ننظر اليها من ناحيتين (الناحية الدينـية الاجتماعية) ناحية تربية الفرد المقاتل على الأسس الاسلاميـة النظيفة واعادة الثقة اليه بنفسه كسـودانى مسلم متخلياً بذلك عن المكتسبـات السلوكيه السيئـة تحت نير ظلم الترك وعبثهم والناحيـة الثانية (التنظيـم) للجيوش ولهيكل الادارة لكل هذه الحشـود وفى الناحيتين كان المنهج واضحاً ، فهو المنهج الاسـلامى الصريح ، فالتربيـة للفرد كانت (المنشورات والأوراد والراتب) تبسـط الآيات الكريمة ، والاحاديث الشريفة وتسوق العبر على مر التاريخ كما كان (المهدى) نفسه لا يتخلى يوماً واحداً طيلة سنى الجهاد عن الدرس المنظـم لكل الحشود وتفقيههـم فى أمر دينهم حتى والعدو أحياناً ـــ محيطاً بهم ، لا يتخلى (المهـدى) عن الدرس حتى شغفوا جميعهـم ، وارتفعت المعنويات واقبلوا يدرسـون بنهم شديد ويتفهمونـ كما كان الأمراء والعلماء فى كل محل وصلته

(الثورة) يفعلون هذا بأمر المهدى ـ

كما كان (المهدى) بنفسه غدوة كاملة لمواطنيه ـ فهم فى ذروة النصر يرونه دائماً بينهم الرجل البسيط ، المحب لمواطنيه ، الذى يرفع يديه الى ربه داعياً :

اللهم ـ وبحق ممشاى هذا اليك ، لم اخرج اشراً ، ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة ، خرجت اتقاء سخطك ، وابتغاء مرضاتك اسألك ان تنقذنى من النار ، وان تغفر لى ذنوبى ....

وحتى الأعداء ، لم يجرؤا لحظة فى خدش (المثل الأعلى) للخلق والسلوك دون تعمل أو رياء الذى كانه (المهدى) لأبناء أمته ـ فقد روى شقير فى صفحة ٢٣٥ :

وفى اثناء سير المهدى ، الى الرهد ، كان يمشى على رجليه مراعاة لحال الضعفاء من انصاره ، الذين ليس لهم دواب ، حتى انه حفى وتورمت رجلاه

ذلك وهو الذى كان قد خرج لتوه من (شيكان) مرفوعة أعلام النصر أمام حشوده بعد ان سحقت جيوش الأعداء سحقاً وغنمت منهم الغنائم الهائلة الضخمة

كان الرجل السودانى ، يرى كل ذلك أمامه من مواطنه وقائده العظيم ، فيرى كل ذلك انما هو تعبير عن قيم أصيلة وعميقه طالما حنوا اليها بعد أن كاد « الترك » ان يكفروهم بعودتها من جديد ـ

بل حتى صيغة البيعة ، وهى العهد الذى يقطعه الثائر على نفسه « كقسم عظيم » كانت درساً فى التهذيب : ـ

بسم الله الرحمن الرحيم ـ الحمد لله الوالى الكريم ، والصلاة والسلام ، على سيدنا محمد وآله مع التسليم ، اما بعد فقد بايعنا الله ورسوله ، وبايعناك ، على توحيد الله ، والا نشرك به أحداً ، ولا نسرق ، ولا نزنى ، ولا ناتى ببهتان ، ولا نعصيك فى معروف ، بايعناك على زهد الدنيا وتركها ، والرضا بما عند الله رغبة بما عند الله ، والدار الآخرة ـ وعلى الا نفر من الجهاد

هذا عن التربية الفردية على أســس الدين الحنيف ، لخاق مجتمع جديد فى علاقات أفراده فى داخل اطار (الاخلاق السودانية) الأصيلة —

واما عن الناحيــة الثانية (الادارة) فتشــمل — الجيش — وهيــكل الدولة — فأما الجيش فقــد نظم بالتسلســل التالى كل عشرين جنديا تحت امرة (مقــدم) وكل مائه تحت امرة (رئيس المــائه) واكثر من مائــه يقــوده (أمــير) وعلى رأس الامراء (أمير الأمراء) —

وكل (أمير كبير) له راية خاصة بسريته معروف بها — وله طبول الحرب ، والسلاح الخاص بسريته .

ثم فرقة (الجهاديه) البالغــة المقدرة على استعمال المدافع والصواريــخ وغيرهــا وكان أول من تولى قيادتهــا وتدريبهــا حمدان ابو عنجه)

وأمــا الهيكل الادارى فقــد كان منهجــه بالطبــع أيضا (اسلامياً مع مراعاة الظروف الســودانية . والعــادات الخاصة بالمناطق مما استوجب أن يكون الهيكل كالآتى : —

يلى القائد المهدى — أربعة خلفاء له — هم (الخليفه عبدالله) وتتبع له كل قبائل غرب الســودان — يدير شؤونها ثم (الخليفه على ود حلــو) ويتولى الشؤون الخاصــة بقبائل دغيم وكنانه وتتقدم جيوشــه دائما الراية المميزة له (الخضراء) ثم (الخليفه محمد شريف) ويتبعه قبائل الســودان الأوسط ومنطقــة دنقلا الخرطوم وسنار والقاطنين على النيل وراية جيشه (الحمراء) ثم احتفظ المهدى (للسنوسى) « بالراية الصفراء » كرابع للخلفاء

وفى كل أقليم تحرره « الثورة » من الترك يعــين (أميراً) ســودانياً يتــولى تصريف الحكم بمساعدة الأمراء والقــادة فى منطقته —

واما القضاء فكان يخضع تماما (لكتاب الله وسنة رسوله) على يدى العلماء الأكفاء والأمراء .

وهكذا تكامل هيكل الدولة (جيش وحكومة وقضاء) فى تناسق على نهج واضح مكن (الثورة) من قوة الاستمرار رغم الحشود الضخمة من جيوش الاعداء ، ورغم تسلحهم ـ وقسوة الظروف الطبيعية وغيرها وهكذا أيضا يتضح النهج الواضح للثورة .

٣) المصدر الثالث

هيكل الدولة ونظمها بعد الاستقلال

بعد دخول العاصمة ـ لم تكن (الثورة) أبداً قوة عسكرية ضخمة ومنتصرة وفقط ، انما كانت دولة ـ بكل نظم الدولة ـ لمدة تقرب من اربع سنوات (هى سنين الكفاح) ولذلك فى حياة (المهدى) لم يطرىء أى تغيير فى هيكل الدولة ونظمها ـ وكذلك فى عهد الخليفة ـ غير ان فرقة (الجهادية) صارت هى (الجيش الرسمى) بقيادة الأمير (شيخ الدين) كما تم تأسيس كامل (لبيت المال)ودار (لسك العملة) وورشة كاملة (للتسلح)واستدعت ضخامة الدولة اعطاء سلطات أوسع (لأمراء الأقاليم) ولكن القضاء ظل كما هو يقوم به قضاء يتبعون (قاضى الاسلام) الموجود مع الخليفة فى العاصمة (أم درمان)

وهكذا (ايجاد مجتمع جديد) حر مستقل يحكمه (كتاب الله وسنة رسوله) مستعينين (بالشروح) التى يضمها سجلان ضخمان هى (منشورات المهدى) كانت التكامل النظرى المتمم لرسالة الكفاح المسلح .

وفى مدى (الثلاثة عشر عاما) التى استمر فيها السودان حراً مستقلا ، لم يكن هناك أبداً شعور بالافتقار الى الهدف المحدد ، انما كانت (الثورة) نفسها مندفعة بقسوة تحاول تكملة رسالة (القائد) فى الداخل والخارج ـ رغم قسوة الظروف الخارجية التى أحاطت بالوطن .

وبعـــد : ــ

فهذه هى ثورة وطننا العظمى فى القرن التاسع عشر فى تكاملها الفكرى وفلسفتها الثورية الحقيـــقية مستمدة من واقع التاريخ ــ تشمخ كمنارة تنير لشعبنا السبيل . .

وثيقة مؤتمر الخريجين

فى أبريل عام ١٩٤٢ م ــ أعلن مؤتمر الخريجين العام توليه القيادة الوطنية ، حينما بعث مذكرته الخاصة بالمطالب السودانية الى (حاكم عام السودان) وجاء فيها : ــ

(١) اصدار تصريح مشترك ، فى أقرب فرصة ممكنة من الحكومتين الانجليزية والمصرية ، بمنح السودان بحدوده الجغرافية حق تقرير مصيره بعد الحرب مباشرة ، واحاطة ذلك الحق بضمانات تكفل حرية التعبير عن ذلك الحق حرية تامة ، كما تكفل للسودانيين الحق فى تكييف الحقوق الطبيعية مع مصر ــ باتفاق خاص بين الشعبين المصرى والسودانى .

(٢) تأسيس هيئة تمثيلية من السودانيين لاقرار الميزانية والقوانين .

(٣) تأسيس مجلس أعلى للتعليم ــ أغلبيته من السودانيين وتخصيص مالا يقل عن ١٢٪ من الميزانية للتعليم

(٤) فصل السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية .

(٥) الغاء قوانين المناطق المقفولة ، ورفع قيود الاتجار والانتقال عن السودانيين داخل السودان .

(٦) وضع تشريع بتحديد الجنسية السودانية

(٧) وقف الهجرة الى السودان فيما عدا ما قررته المعاهدة الانجليزية المصرية

(٨) عدم تجديد عقد الشركة الزراعية بالجزيرة

(٩) تطبيق مبدأ الرفاهية والأولوية فى الوظائف وذلك : ــ

(أ) باعطاء السودانيين فرصة الاشتراك الفعلى فى الحكم بتعيين سودانيين فى وظائف ذات مسئولية سياسية فى جميع فروع الحكومة .

(ب) قصر الوظائف على السودانيين ، اما المناصب التى تدعو الضرورة لملأها بغير السودانيين فتملأ بعقود محددة الأجل .

(١٠) تمكين السودانيين من استثمار موارد البلاد التجارية والزراعية والصناعية

(١١) وضع قانون بالزام الشركات ، والبيوتات التجارية بتحديد نسبة معقولة من وظائفها للسودانيين

(١٢) وقف الاعانات لمدارس الارساليات ، وتوحيد برامج التعليم فى الشمال والجنوب

هذه هى المطالب التى نرى فى استجابتها ارضاء لرغبات السودانيين فى الوقت الحاضر .. الخ

اتفاقية الحكم الذاتى وتقرير المصير

رغم كل شيء ــ اتفق السودانيون جميعاً وعلى مختلف أحزابهم على (صيغة) موحدة (لاتفاقية السودان) وذلك عندما واتت الفرصة لتحرير الوطن على اثر تغير السياسة المصرية بعد قيام ثورة يوليو ..

وفى ١٢ فبراير ١٩٥٣ أعلن اتفاق (بريطانيا ومصر) على اتفاق الأحزاب السودانية وأعلنت الاتفاقية ، التى كانت نتيجتها اعلان استقلال السودان التام ورفع علمه فى يوم الأحد أول يناير سنة ١٩٥٦

وهذه بعض بنود الاتفاقية : ــ

مادة ١

رغبة فى تمكين السودانيين من ممارسة تقرير المصير فى جو حر محايد ، تبدأ فى اليوم المعين بالمادة التاسعة الواردة فيما بعد ، فترة انتقال يتوافر للسودانيين فيها الحكم الذاتى الكامل

مادة ٢

لما كانت فترة الانتقال ، تمهيداً لانهاء الادارة الثنائية ، انهاء فعلياً ، فانها تعتبر تصفية لهذه الادارة ، ويحتفظ ابان فترة الانتقال بسيادة السودان للسودانيين حتى يتم لهم تقرير المصير

مادة ٣

يكون الحاكم العام ابان فترة الانتقال السلطة الدستورية العليا داخل السودان ، ويمارس سلطاته وفقاً لقانون الحكم الذاتى ، بمعاونة لجنة خماسية ، تسمى لجنة الحاكم العام ، ويتضمن الملحق الاول لهذا الاتفاق بيان وسلطات هذه اللجنة

مادة ٤

تشكل هذه اللجنة من اثنين من السودانيين ، ترشحهما

الحكومتان المتعاقدتان بالاتفاق بينهما وعضو مصرى ، وعضو من المملكة المتحدة ، وعضو باكستانى ، ترشح كل منهم حكومته على أن يتم تعيين العضوين السودانيين بموافقة البرلمان السودانى عند انتخابه ، ويكون للبرلمان فى حالة عدم موافقته حق تعيين مرشحين آخرين ، ويتم رسميا تعيين هذه اللجنة بمرسوم من الحكومة المصرية

مادة ٥

لما كان الاحتفاظ بوحدة السودان بوصفه اقليماً واحداً مبدأً أساسياً للسياسة المشتركة للحكومتين المتعاقدتين ، فقد اتفقتا على الا يمارس الحاكم العام السلطات المخولة له بمقتضى المادة ١٠٠ من قانون الحكم الذاتى على أية صورة تتعارض مع هذه السياسه

مادة ٦

يظل الحاكم العام للسودان مسؤولا مباشرة أمام الحكومتين المتعاقدتين فيما يتعلق بما يلى : —

(أ) الشؤون الخارجية

(ب) أى تغيير يطلبه البرلمان السودانى بمقتضى المادة ١٠١ (أ)من قانون الحكم الذاتى فيما يتعلق بأى جزء من هذا القانون

(حـ) أى قرار تتخذه اللجنة يرى فيه الحاكم العام تعارضاً مع مسؤولياته وفى هذه الحالة يرفع الأمر الى الحكومتين المتعاقدتين ،وعلى كل من الحكومتين أن تبلغ ردها فى خلال شهر واحد من تاريخ الاخطار الرسمى ، ويكون قرار اللجنة نافذاً الا اذا اتفقت الحكومتان على خلاف ذلك

مادة ٧

تشكل لجنة مختلطة للانتخابات من سبعة أعضاء ، ثلاثة منهم سودانيون يعينهم الحاكم العام بموافقة لجنته ، وعضو مصرى وعضو من المملكة المتحدة ، وعضو من أمريكا ، وعضو هندى ، ويكون تعيين الأعضاء غير السودانيين بمعرفة حكوماتهم

وتكون الرئاسة للعضو الهندى ، ويعين الحاكم العام هذه اللجنة بناء على تعليمات الحكومتين المتعاقدتين وبتضمن الملحق الثانى لهذا الاتفاق بيان وظائف وسلطات هذه اللجنة

مادة ٨

رغبة فى تهيئة الجو الحر المحايد ، اللازم لتقرير المصير تشكل لجنة للسودنة تتألف من : — (انظر الملحق)

مادة ٩

تبدأ فترة الانتقال باليوم المسمى (اليوم المعين) بالمادة الثانية من قانون الحكم الذاتى ، ومع مراعاة اتمام السودنة على الوجه المبين بالملحق الثالث لهذا الاتفاق تتعهد الحكومتان المتعاقدتان بانهاء فترة الانتقال بأسرع ما يمكن ، وينبغى على أى حال الا تتعدى هذه الفترة ثلاث سنوات وتنتهى على الوجه التالى : —

يصدر البرلمان السودانى قراراً يعرب فيه عن رغبته فى اتخاذ التدابير للشروع فى تقرير المصير ؛ ويخطر الحاكم العام الحكومتين المتعاقدتين بهذا القرار .

مادة ١٠

(تتحدث عن قانون الجمعية التأسيسيه مع اتخاذ التدابير للجو الحر المحايد) أنظر النص بالملحق

مادة ١١

تنسحب القوات العسكرية المصرية والبريطانية من السودان فور اصدار قرار البرلمان السودانى برغبته فى الشروع فى اتخاذ التدابير لتقرير المصير وتتعهد الحكومتان المتعاقدتان باتمام سحب قواتهما من السودان فى مدى فترة لا تتعدى ثلاثة شهور

مادة ١٢

(تتحدث عن واجبات الجمعية التأسيسية فى تقرير المصير ووضع الدستور — وقانون انتخاب البرلمان) انظر الملحق .

مادة ١٣
(تتحدث عن تعهد الحكومتان المتعاقدتان باحترام قرارات الجمعية التأسيسية الخاصة بمستقبل السودان) أنظر الملحق
مادة ١٤
(تتحدث عن تعـديل قانون الحكم الذاتى وذلك باضافة النقاط التى يتفق عليها السودانيون) أنظر الملحق
مادة ١٥
تصبح أحكام هذا الاتفاق وملحقاته نافذة بمجرد التوقيع

القاهرة فى اليوم الثانى عشر من شهر فبراير سنة ١٩٥٣

تنبيه

جهدى الذى بذلته ـ تقية وتحرزاً ـ فى الصراع ضد تغول الأخطاء المطبعية (التى أعرفها جيداً) على جوهر الكتاب .

جهدى هذا أراه لم يصل مداه ـ فقد كانت حروف بتمامها (كالألف) و (كالهمزة) خاصة فى أول الكلمة ظهرت بغير قصد فى شكلها المغلوط ـ وكلمة « سودانيين » تكرر الاحتفاظ بها ـ رغم موضعها المختلف من الاعراب ـ ولذا فانى اذ أنبه لهذه الأخطاء المطبعية الكثيرة آمل ألا تكون قد شكلت ازعاجاً كبيراً للقارىء .

« صلاح الدين »

من المراجع

(١) نعوم شقير — تاريخ السودان القديم والحديث
(٢) عبد الله حسين — تاريخ السودان
(٣) ابراهيم فوزى — السودان بين يدى غردون وكتشنر
(٤) محمد صبرى — الامبراطورية السودانية
(٥) عبد الرحمن الرافعى — مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال
(٦) مكى شبيكة — السودان فى قرن
(7) Rudolf Slatin — Fire And Sword
(8) Macmichael — The Anglo-Egyptain Sudan
(9) Allen — Gordon And The Sudan
(10) F. J. Ohrwalder — Ten Years Captivity
(11) Jackson — Tooth of Fire
(12) Theobald — The Mahadiya
Wingate — Mahdism And The Egyptian Sudan
(١٣) مجموعة كاملة من كبار السن وشهود العيان من المواطنين

للمؤلف

« تحت التنسيق »

بالاشتراك مع نخبة من الاساتذة

محمد احمد المهدى « وقصة الفكر والمنطق العربى الاسلامى في القرن التاسع عشر »

دراسات مقارنة : تعتمد على التحقيق العلمى من واقع التراث الفكرى الفلسفى فى جزئى رسائل المهدى مقارنة بالتراث الفكرى فى الفلسفة والمنطق لأئمة هذا الباب من كبار المفكرين العرب والمسلمين الذين عاصروا القائد السودانى وثورته ألكبرى .

للمؤلف

« تحت الطبع »

بطولات سودانية :

(١) رابحة الكنانية .

(٢) أم الفقيرة العركية .

(٣) المقاتلة زوج قائد الخطرية .

تنقيب أمين عن الوجه الحقيقى للأمة السودانية فى اصالتها ، فى أيامها الخوالد فى سلسلة الكفاح الوطنى السودانى كجزء من تراث الانسان فى معاركه البطولية ضد العبودية والمذلة .

ونظرة فاحصة تثرى تراث البشر ، باهدائهم تجاربنا ، دون السلبية الفكرية المتفشية بيننا تتغنى فقط بطولات الآخرين .

الرسائل الخاصه وطلبات الكتاب تعنون

ص. ب (١٠٦) الخرطوم جنوب

أو رأسا ـ مكتب توزيع الصحف السودانية

غرب الزنكى ـ الخرطوم

تلفون ٧١٧١٧